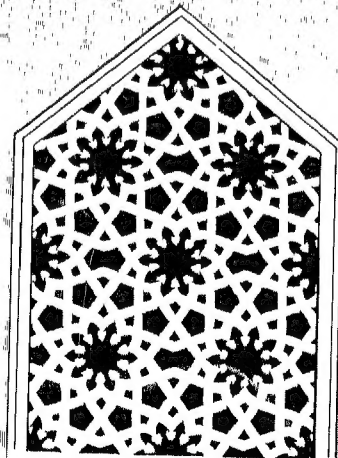


يَقْظَرُ الْوَلَّى الْعَيْنَا

مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار
للإمام الشيخ صديق حسن خان

تحقيق
الدكتور محمد مجازي السقا

الناشر
دار التراث الإسلام
بالأزهر



يَقْظَرُ الْوَلَدُ الْإِعْتِبَارَ

مِمَّا وَرَدَ فِي ذِكْرِ النَّارِ وَأَصْحَابِ النَّارِ
للإمام الشيخ صديق حسن خان

تحقيق
الدكتور محمد مجازي السقا

الناشر
دار التراث الإسلامي
بالأزهر

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب :

« بقظة أولى الاعتبار . مما ورد في ذكر النار ، وأصحاب النار » .

المؤلف :

هو الإمام العلامة الجليل الشيخ الشريف أبو الطيب : صديق بن حسن ابن علي البخاري القنوجي ، ولد في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف من الهجرة . ببلدة « بريلي » موطن جده القريب من جهة الأم ، ثم جاءت به أمه الكريمة من « بريلي » إلى « قنوج » موطن آبائه .

ولما بلغ السادسة من عمره . انتقل والده إلى جوار الله عز وجل فتكفلت به أمه ولما كبر تعلم اللغة الفارسية ، وأتقن نبذة من مسائلها . ونزل ببلدة « كانبور » وتعلم فيها « الفوائد الضيائية » و « مختصر المعاني » وغيرهما من كتب المعاني والبيان ، ثم رحل إلى مدينة « دلهي » في الهند لتحصيل العلوم . وتعلم على الشيخ صدر الدين خان المفتي . ثم عاد من « دلهي » إلى « قنوج » وسافر منها إلى بلدة « بهوبال » وألقى بها عصا التسيار .

وصحب ببلدة « بهوبال » الشيخ حسين بن محسن الغني رحمه الله تعالى ، واشتغل بالدرس والتأليف . ومن تأليفه : تفسيره المسمى « فتح البيان في مقاصد القرآن » وكتاب « الروضة الندية في شرح الدرر البهية » و « حصول المأمول من علم الأصول » و « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة »

و « يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار » وكتب غير ذلك ورسائل ، رحمه الله برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جنته . آمين ^(١) .

طباعات الكتاب :

ورد إلى مصر نسخ منه مطبوعة في الهند ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم ألف وثلاثمائة وخمسة وخسين في رمز التصوف . وهذه النسخة المخطوطة طبعت في مصر في مطبعة الإمام .

عملنا في هذا الكتاب :

بالاطلاع على النسخة الهندية والنسخة المخطوطة والنسخة المصرية : وجدنا أخطاء لفظية في نصوص الآيات القرآنية ونصوص آيات التوراة والإنجيل . وأحياناً ينسب النص إلى سورة وليس هو فيها بل في سورة غيرها ، وأحياناً ينسب النص إلى إنجيل وليس هو فيه بل في إنجيل آخر . وكثيراً ما يذكر رقم الإصحاح ، مخالفاً للأرقام الموجودة . فصححنا النصوص . ونسبنا النص إلى موضعه الأصلي وذكرنا في التعليقات الأرقام الصحيحة للأصحاحات . مثال ذلك :

١ - « فغرس جناتاً في عيذا شرفياً وابقا ثم آدم الذي خلق » وصحته هكذا من التوراة العبرانية ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠ م ^(٢) « وغرس الرب الإله : جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي جبله » [تكوين ٢ : ٧] ^(٣) .

٢ - في المزمور الثامن والأربعين ما افظه : « جعلوا في الجحيم ... إلخ »

(١) ص ٣ - ٤ فتح البيان في مقاصد القرآن ج ١ نشر عبد المجيد عل محفوظ - مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٩٦٥ م .

(٢) الكتاب المقدس .

(٣) ما قبل النقطتين رقم الأصحاح (الفصل) وما بعد النقطتين رقم الآية والشرطة تساوى إلى .

٥

وصحته هكذا : في المزمور التاسع والأربعين مالفظة : « مثل الغنم للهاوية يساقون . الموت يرعاهم ... إلخ » .

٣- في الفصل التاسع من الأصحاح الأول : ومن قال ... إلخ . وصحته هكذا : في الأصحاح الخامس من الإنجيل الأول لإنجيل متى « ومن قال ... إلخ » .

٤- وفي الفصل الثامن والعشرين ولكن خافوا ... إلخ وصحته هكذا وفي الأصحاح العاشر من متى « بل خافوا ... إلخ » .

٥- وفي الفصل التاسع مالفظة : تذهب إلى جهنم . وقوله هكذا يوحى بأنه الفصل التاسع من إنجيل متى . وصحته : وفي الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس مالفظة : « وتمضى إلى جهنم ... إلخ » .

٦- وفي الفصل الثالث والسبعين مالفظة : إن الزنادقة الذين يقولون ليست قيامة . وصحته : وفي الأصحاح الثاني والعشرين من متى ما لفظه : « في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة » .

٧- « العزيز الحكيم ، ومن تق السيآت ... إلخ » وصحة الآية « العزيز الحكيم . وقهم السيآت ، ومن تق السيآت ... إلخ » (غافر ٨ و ٩) وبالإضافة إلى هذا : كتبنا في هذا التقديم أصل الخلاف بين علماء بني إسرائيل في حقيقة البعث من الأموات . وهل هو للأجساد مع الأرواح أم للأرواح فقط ؟

هدف الكتاب :

هو تخويف الناس من النار ، حتى يبتعدوا عن السيآت .

الحكم على الكتاب :

هو مفيد في موضوعه . كما يقول الشيخ صديق « لأن الإيمان بين الخوف والرجا . والمرء بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل في الخائف ما لا يفعل

الرجا في الراجي ، والخشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين الهالك والناجي . وأن دين الإسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات . وأن النبي ﷺ رغب وحذر وبشر وأندر « ولو أن الشيخ صديق اقتصر على ذكر الآيات القرآنية التي وردت في النار وأهوالها . لكان قد جنب نفسه ما قيل فيه : إنه قد أتى بأحاديث غير صحيحة النسبة إلى رسول الله ﷺ . قد وضعها الواضعون لترهيب الناس من النار .

إننا قد علقنا على ما ذكره في المقدمة في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار ، وتركنا التعليق على الباقي . لماذا ؟ لأنه فوق ما قدمنا قد ذكر وجهات نظر علماء الكلام ، والحكماء وغيرهم ، واختار رأياً . ووجهات نظر هؤلاء العلماء مبسطة في الكتب ومعروفة على النحو الذي ذكره المؤلف . وعلى من يخالف رأيه أن يرجع إلى الرأي الذي ارتضاه من آراء هؤلاء العلماء وينظره في كتبهم ثم يتأمل فيه . إما أن يقبل وإما أن يرفض .

تحقيق أصل الخلاف بين علماء بني إسرائيل في حقيقة البعث عن الاموات :
لاحظ أولاً :

أن موسى عليه السلام سلم التوراة التي أنزلها الله عليه إلى بني إسرائيل ، وكان موسى نحو سنة ١٥٧١ ق . م وفي مدينة بابل بالعراق من بعد سنة ٥٨٦ ق . م غير علماء بني إسرائيل نصوصاً من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، ومن هذه النصوص التي غيرها : النص على يوم القيامة .

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم عزرا (عزير) في بابل . اختلفوا على عاصمة الدولة : أورشليم أم شكيم ؟ واختلفوا على الجبل المقدس : صهيون أم جرزيم ؟ ولما لم يتفقوا . انقسموا إلى فريقين : السامريين في شكيم ويقعدسون جرزيم ويتجهون إليه في الصلاة . والعبرانيين في أورشليم ويقعدسون صهيون ويتجهون إليه في الصلاة . وبعد هذه الملاحظة

نقول : قد وجدنا التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدي العبرانيين .

ومن الآيات المختلف فيها : النص عن يوم القيامة . فهو في التوراة السامرية صريح للغاية وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين : إما الجزء في الدنيا وإما الجزء في الآخرة .

وهذا النص في العبرانية هكذا على لسان الله تعالى : « أليس ذلك مكتوباً عندى ، مختمواً عليه في خزائنى ؟ لى النعمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم » [تثنية ٣٢ : ٣٤ - ٣٥] .

يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى الدنقى عن هذا الخلاف « مانحن مختلفون فيه الفصل الذى هو أحق بالميعاد وهو قوله عندنا : « ذكر نصاً عبرانياً سامرياً » وعندهم « ذكر أبو الحسن نصاً عبرانياً سامرياً » وبين قوله : « لى انتقام ومكافأة » وبين قوله : « لى أعمالهم عندى مذخورة فى خزائنى لى يوم الانتقام . يوم عظيم . وفرق كبير . لأنه بمقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة وغداً . وما قبل وما بعد ويجوز أن يكون ذلك فى الدنيا ، ويجوز أن يكون فى الآخرة » (٤) .

هذا بالنسبة لتوراة موسى أما بالنسبة للتوراة المسماة « أسفار الأنبياء » فإننا نذكر منها ما يلى :

(أ) فى سفر أبوب يقول أبوب عليه السلام : « أما أنا فقد علمت أن ولى

(٤) ص ٩٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء . طبع بألمانيا بتعليقات المسيو دلمار ، هذا وقد استشهد بهاتين الآيتين القديس بولس فقال فى الرسالة إلى أهل رومية : « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء ، بل أعطوا مكاناً للفضب . لأنه مكتوب : لى النعمة / أنا أجازى يقول الرب » [رو ١٢ : ١٩] وقال فى الرسالة إلى العبرانيين : « فإننا نعرف الذى قال لى الانتقام . أنا أجازى يقول الرب . وأيضاً يدين شعبه » [عب ١٠ : ٣٠] .

حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون
جسدى أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى وعيناي تنظران وليس
آخر «[أيوب ١٩ : ٢٥ - ٢٧] ترجمة بروتستنت سنة ١٩٧٠م ،
فى هذه الترجمة يثبت البعث بالأرواح وليس بالأجساد وفى ترجمة
الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م هكذا: «وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء
بجلدى . ومن جسدى أعاين الله » وفى هذه الترجمة يثبت البعث
بالأرواح والأجساد معاً وكذلك فى الترجمة الإنجليزية : «حتى وإن
كانت ديدان جلدى تفنى هذا الجسد فإننى فى جسدى أرى الله » .

وجاءت فى كلام عيسى المسيح عليه السلام هكذا: «أعلم أن
لهى حى وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعينى الله
مخلصى » [برنابا ١٧٣ : ١٠] .

(ب) وفى سفر دانيال هكذا: «أما أنت فاذهب إلى النهاية فستريح
وتقوم لقرعتك فى نهاية الأيام » [دانيال ١٢ : ١٣] .

(ج) وفى سفر المكايين الثانى: «وكان يهوذا النبيل يعظ القوم أن ينزهوا
أنفسهم عن الخطيئة لذرأوا بعيونهم ما أصاب الذين سقطوا لأجل
الخطيئة ثم جمع من كل واحد مقدمة [صدقة] فبلغ المجموع ألفى
درهم من الفضة فأرسلها إلى أورشليم ليقدّم بها ذبيحة عن الخطيئة
وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه لاعتقاده قيامة الموتى لأنه لو
لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت صلاته من أجل الموتى
باطلاً وعيثاً ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب
جميل » ١. هـ [المكايين الثانى ١٢ : ٤٢ - ٤٥] .

(د) وفى الأصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال (ذو الكفل)
ما يؤكّد حقيقة بعث الأموات .

٣- وأما في الإنجيل فواضح من الأناجيل كلها تصريح المسيح عيسى عليه السلام بالبعث ، ففي إنجيل مرقس يقول المسيح : «وأما من جهة الأموات أنهم يقومون أفأقرأتم في كتاب موسى في أمر العليقة كيف كلمه الله قائلاً : أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ؟ ليس هو إله أموات بل إله أحياء فأنتم إذاً تضلون كثيراً » [مرقس ١٢ : ٢٦ - ٢٧] يريد أن يقول إن الله تعالى نادى على موسى في طور سيناء وهو ذاهب ليرى ناراً ، وقال له كما جاء في التوراة : «أنا إله أبيك : إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » [خروج ٣ : ٦] ولما كان الله حياً فإذا إبراهيم وإسحق ويعقوب أحياء عنده يرزقون ولو كانوا أمواتاً ما تحدث عنهم .

وفي سفر الأعمال . فغاية « الناموس والأنبياء . . . أنه سوف تكون قيامة للأموات : الأبرار والأئمة » [أع ٢٤ : ١٤ - ١٥] .

وفي إنجيل برنابا سأل بطرس المسيح هذا السؤال : (أليذهب جسدنا الذي لنا الآن إلى الجنة ؟) فأجاب المسيح بما نصه :

« أجاب يسوع : احلر يا بطرس من أن تصير صدوقياً فإن الصدوقيون يقولون :

إن الجسد لا يقوم أيضاً وإنه لا توجد ملائكة^(٥) لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول في الجنة وهم محرومون من كل خدمة الملائكة في هذا العالم. أنسيم أيوب النبي وخليل الله كيف يقول : « أعلم أن إلهي حي وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي » .

ولكن صدقوني أن جسدنا هذا يتطهر على كيفية لا يكون له معها خاصة

(٥) في سفر أعمال الرسل هكذا « لأن الصدوقيين » يقولون : أن ليس قيامة ولا ملاك ولا أرواح » [أعمال ٢٣ : ٨] .

واحدة من خصائصه الخاضرة لأنه سيتطهر من كل شهوة شريرة ، وسيعيده الله إلى الحال التي كان عليها آدم قبل أن أخطأ .

رجلان يخدمان سيداً واحداً في عمل واحد أحدهما يقتصر على النظر في العمل وإصدار الأوامر . والثاني يقوم بكل ما يأمره به الأول ، أقول : آتروا من العدل أن يخص السيد بالجزاء من ينظر ويأمر فقط . ويطرد من بيته من أنهك نفسه في العمل ؟ لا البتة .

فكيف يحتمل عدل الله هذا ؟ إن نفس الإنسان وجسده وحسه تخدم الله فالنفس تنظر وتأمر بالخدمة فقط لأن النفس لما كانت لا تأكل خبزاً فهي لا تصوم ولا تشعر بالبرد أو الحر ولا تمرض ولا تقتل لأنها خالدة وهي لا تتكاثر شيئاً من الآلام الجسدية التي كان يتكاثرها الجسد بفعل العناصر أقول : هل من العدل أن تذهب النفس وحدها إلى الجنة دون الجسد الذي أنهك نفسه بهذا المقدار في خدمة الله ؟

قال بطرس : يا معلم لما كان الجسد هو الذي حمل النفس على الخطيئة فلا ينبغي أن يوضع في الجنة . أجاب يسوع : كيف يخطئ الجسد بدون النفس ؟ حقاً إن هذا محال فإذا نزع رحمة الله من الجسد قضيت على النفس بالجحيم . لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته : إن الله يعد الخاطئ برحمته قائلاً : أقسم بنفسى أن الساعة التي يندب فيها الخاطئ خطيئته هي التي أنسى فيها إثمه إلى الأبد^(٦) « فأى شيء يأكل إذا أطعمة الجنة . إذا كان الجسد لا يذهب إلى هناك ؟ هل النفس ؟ لا البتة لأنها روح .

(٦) لاحظ أن المسيح يستدل على صحة أقواله من التوراة العبرانية لقد استدل أولاً من سفر أيوب وهو يستدل ثانياً من سفر حزقيال والنص هكذا في حزقيال « فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها وحفظ كل فرائض وفعل حقاً وعدلاً فحياته يحيا . لا يموت . كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا » [حزقيال ١٨ : ٢١ - ٢٢] .

أجاب بطرس : أياكل إذا المباركون في الفردوس ؟ ولكن كيف يبرز الطعام دون نجاسة ؟

أجاب يسوع : أى بركة ينالها الجسم إذا لم يأكل ولم يشرب ؟ من المؤكد أنه من اللائق أن يكون التمجيد بالنسبة إلى الشيء الممجد . ولكنك تخطئ يا بطرس في ظنك أن طعاماً كهذا يبرز نجاسة . لأن هذا الجسم في الوقت الحاضر يأكل أطعمة قابلة للفساد ولهذا يحصل الفساد . ولكن الجسم يكون في الجنة غير قابل للفساد . وغير قابل للألم وخالداً وخالياً من كل شقاء . والأطعمة التي لا عيب فيها لا تحدث أدنى فساد . هكذا يقول الله على لسان أشعيا^(٧) النبي ساكباً ازدرأ على المنبوذين « يجلس خدعى على مائدتى في بيتى . ويتلذذون بابتهاج مع جبور ومع صوت الأعراد والأراغن ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما . أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجاً عنى . حيث تموتون في الشقاء . وكل خادم لى يمتنكم » .

ثم يبين برنابا أن المسيح شرح لتلاميذه معنى قول الله تعالى (يتلذذون) فقال : « قال يسوع لتلاميذه : ماذا يجدى نفعا قوله يتلذذون ؟ حقاً إن الله يتكلم جلياً . ولكن ما فائدة الأنهر الأربعة من السائل الثمين في الجنة مع ثمار وافرة جداً ؟ فن المؤكد أن الله لا يأكل ، والملائكة لا تأكل ، والنفس لا تأكل ، والحس لا يأكل ، بل الجسد الذى هو جسمنا . فوجد الجنة هو طعام الجسد . أما النفس والحس فلهما الله ومحاذة الملائكة والأرواح المباركة وأما ذلك المجد فسيوضحه بأجلى بيان رسول الله^(٨) الذى هو أدري بالأشياء من كل مخلوق لأن الله قد خلق كل شيء حباً فيه .

(٧) في سفر أشعيا هكذا « قال السيد الرب : هو ذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون هم ذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون هو ذا عبيدى يفرحون وأنتم تحزنون ، هو ذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب . . . الخ [أشعيا ٦٥ : ١٣ - ١٤] .

(٨) يقصد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال برتولوماوس : يامعلم أياكون بمجد الجنة لكل واحد على السواء ؟
فلماذا كان على السواء فهو ليس من العدل . وإذا لم يكن على السواء فالأصغر
يحسد الأعظم .

أجاب يسوع : لا يكون على السواء لأن الله عادل ؟ وسيكون كل واحد
قنوعاً إذا لاحسد هناك . قل لى يا برتولوماوس : يوجد سيد عنده كثيرون
من الخدمة ويلبس جميع خدمه هؤلاء لباساً واحداً أيحزن إذا الغلمان اللابسون
لباس الغلمان لأنه ليس لهم ثياب البالغين ؟ بل بالعكس لو أراد البالغون أن
يلبسوهم ثيابهم الكبيرة لتغيظوا لأنه لما لم تكن الأثواب موافقة لحجمهم
يزعمون أنهم : مخزية . فارفع إذا يا برتولوماوس قلبك لله فى الجنة فترى
أن الجميع مجداً واحداً ، ومع أنه يكون كثيراً لواحد وقليلًا للآخر فهو
لا يولد شيئاً من الحسد » [برنابا ١٧٣ : ٧ إلى آخر ١٧٦] .

* * *

والربانيون والأخبار من السامريين والعبرانيين قد اعترف كثير منهم
بيوم القيامة . ومن هؤلاء :

١ - المؤرخ السامرى الذى لم يسلم أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى الدنفى
ألف تاريخه المسمى « التاريخ مما تقدم عن الآباء » سنة ست وخسين وسبع مائة
من الهجرة وقال فى مقدمته :

« رزقنا الله الملمات على حفظه ، وحب هذا النبى العظيم - موسى -
وحشرنا فى زمرة ، ولا جعلنا من المبعودين فى هذه الدار من أمته ، المحرومين
فى الآخرة من شفاعته . . . إلخ » ويقول عن يهوشع بن نون فى موسى
لأنه سلم نسخة من توراة موسى عليه السلام إلى نبيح بن حفر بن جلعاد بن ماكير

ابن منشه بن يوسف عليه السلام « وأمره بالقراءة فيها ليلاً ونهاراً وعرفه أن فيها أسراراً عجيبة ومصالح في العاجلة والآجلة » .

٢- وابن كونة : سعد بن منصور البغدادي الإسرائيلي المتوفى سنة ثلاث وثمانين وست ومائة من الهجرة في مدينة الحلة ببغداد يقول :

« يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبي الحقيقي : أن يعرف الناس أن لهم صانعاً واحداً حياً قادراً لا شريك له في ملكه ولا شبيه ولا نظير . عالماً بالسر والعلانية ، لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض ، وأن من حقه أن يطاع ، وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه ، والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر الميعاد الآخرى . وأن هناك من اللذة الأبدية ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم^(٩) » أ . هـ .

٣- وفي كتاب « التلمود » اعترافات صريحة من الربانيين والأحبار بالبعث فنص المشنة الخامسة هكذا : « قال يوسى بن يوحانان . ليكن بيتك مفتوحاً على الرحب والسعة ولتكن الفقراء كبني بيتك ، ولا تكثر الحديث مع المرأة . وخصوصاً امرأة قريبك . وقد استند الأئمة على هذا الكلام فقالوا : كل من أطال الكلام مع المرأة يسبب الضرر لنفسه ويلتصق عن درس الناموس وآخرته ميراث جهنم » .

وفي شرح المشنة السادسة مانصه : « كان في الأمة الإسرائيلية حزبان حزب الصادوقيين الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث وخلود البعث وخلود النفس ولا يعتبرون سوى أسفار موسى الخمسة وحزب الكتبة الذين كانوا يؤمنون بما يؤمن به اليهود إلى يومنا هذا » أى بأسفار الأنبياء والبعث وخلود النفس .

(٩) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث - طبع جامعة كاليفورنيا بعناية :

موسى بركلمان . .

ونص المشنة الأولى من الفصل الثاني هكذا : قال ربى يهودا هناسى :
 « ماهى الطريق القويمه التى يجدر بالإنسان اختيارها ؟ هى تلك التى تمجد
 سالكها وترفع مقامه بين الناس . احرص على الفرض الخفيف حرصك على
 الفرض الثقيل . لأنك لاتعلم قيمة أجر الفروض . واحسب خسارة الفرض .
 بجانب أجره . وملذة المعصية بجانب قصاصها . تأمل فى ثلاث أمور فلا تصل
 إلى سبيل المعصية . أعلم ما فوقك : عين ترى ، وأذن تسمع : وكل أعمالك
 محصية فى سفر » .

ويقول المفسر لهذه المشنة مانصبه : « هى تلك التى تمجد سالكها :
 قصد هنا المجد السماوى ، والأجر العتيد الذى وعد به أئمة التلمود لمن عمل
 صالحاً وسلك بحسب فروض الناموس لأن التوراة لم تفصح عن الميعاد إفصاح
 التلموديين خصوصاً بعد عودتهم من سبي بابل » .

ويقول فى تفسير العبارة : « كل أعمالك محصية فى سفره » ، ما نصه :
 « قد جسم بعضهم هذا الفكر لدرجة أنه قال : إن روح الإنسان تصعد فى كل
 مساء أمام عرش الديان فتكتب يمينها ما تكون قد اقترفت أو أحسنت فى
 يومها ، وتعالى بعضهم فقال : إن كل معصية يرتكبها الإنسان فى دنياه توجد
 شيطاناً يصعد أمام كرسى الديان ويهتف دائماً « أنا خلقت من معصية فلان
 ابن فلان الذى ارتكبها فى اليوم القلانى » .

ويتعلق الدكتور شمعون على هذا التفسير بقوله : « كلها أقوال يعذر
 قائلوها لأنهم إنما كانوا يخاطبون أبناء ذلك العهد البعيد المعاصرين لهم . وكلنا
 يعلم ما كان عليه بنو الإنسان فى تلك الأزمان النائية من خشونة الطباع » .

ونص المشنة الأولى من كتاب الزهر هكذا : قال ربى عقايا بن مها لاثيل

« تأمل في ثلاثة أمور فلا تقع في الخطيئة : من أين نشأت ؟ إلى أين تصير ؟ أما من أنت مزعم أن تؤدي الحساب على أعمالك ؟ أما منشأك فنظفة تننة . وأما مصيرك فترب ورمة ودودة . وأما مجاسبتك فستكون أمام ملك الملوك الأقداس . مبارك هو » (١٠) .

ومن النصوص التي ذكرناها يتضح تمام الوضوح : اعتراف أهل الكتاب ببعث الناس من القبور إلى الحياة الآخرة . وكذلك يعترف المسلمون . فقد جاء في القرآن الكريم : (مالك يوم الدين) .

لكن . هل يبعث الله الإنسان من الموت للحساب بجسده وروحه على هيئته التي كان عليها في الدنيا ؟ أم يبعث روحه فقط ويكون حسابه ونعيمه أو عذابه لروحه وليس لجسده كما تكون الأحلام ؟ يقول كثيرون من المسلمين وأهل الكتاب بأن البعث للجسد والروح . ويقول النصاري : إن البعث للروح فقط كما تكون الأحلام ، ومثل قولهم يقول بعض فلاسفة المسلمين وأهل الكتاب .

ويستند النصاري على قولهم بالبعث الروحاني : على إجابة المسيح عن سؤال الصدوقين للمسيح عن المرأة التي يكون لها سبعة أزواج . في يوم القيامة تكون لمن السبعة ؟ كما سنيين في التعليقات . ويقول بعض فلاسفة المسلمين : إن ماورد في القرآن عن النعيم والعذاب ورد على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحقيقة كما يقول تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون ... إلخ) وعلى ذلك فالبعث للأرواح وليس للأجساد .

واختلف المسلمون أيضاً في جسد الإنسان الذي سيبعث . هل جسد الإنسان نفسه هو الذي سيكون يوم القيامة ؟ أم سيبعث الإنسان بجسد جديد ؟

(١٠) انظر « التلمود » أصله ، وتسلطه ، وآدابه » - الدكتور شمعون يوسف مويال - مطبعة العرب بمصر سنة ١٩٠٩ م تساوى سنة ٥٧٦٩ من آدم عليه السلام .

والحقيقة التي لامراء فيها : أن البعث من القبور إلى الحياة الآخرة سيكون للجسد والروح معاً . لما هو واضح من قوله تعالى : (كلما مضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب) ولما هو واضح من الأدلة التي أوردتها العالم الجليل مؤلف هذا الكتاب . ونفس الجسد الذي كانت فيه الروح في الدنيا هو نفس الجسد الذي سيكون محلاً للنعيم أو العذاب : [انظر في هذا الموضوع . كتب الإمام الغزالي والفيلسوف ابن رشد] .

وأخيراً نقول :

هذا ما وفقنا الله تعالى إليه . ونسأله تعالى الهداية والتوفيق .

(ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) .

د. أحمد حجازي السقا

يقظة اولى الاعتبار

مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما منح من الهدى ، وجعل السنة المطهرة قدوة لمن يقتدى ،
الذى خلق فأحيا ، وحكم على خلقه بالموت والفنا ، والبعث إلى دار الجزاء
والفصل والقضا ، لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال في كتابه جل وعلا :
(إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، ومن يأت مؤمناً قد
عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها
الأنهار يخالدون فيها وذلك جزاء من تركي) والصلاة والسلام على خير من
أفيضت عليه بحار المكارم والندى ، ولاحت عليه لوائح الصديق والصفاء ،
واهتدى بما أنزل عليه من ربه وإليه أمته هدى ، وأنقذها من شرك الردى ،
ولم يتركها سدى ، فن أطاعه ووالاه فقد رشد ونجا ، ومن عصاه وناواه فقد
ضل وغوى ، وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة وسلاماً دائماً على طول المدى .

وبعد : فهذا كتاب في أحوال النار وأصحابها ، وأحوال الجحيم وأربابها
نسجته على منوال كتابي في أحوال الجنة وأهلها وحقائق نعمها ومواليها ،
والباعث على جمعه أن الحافظ الإمام ناصر السنة والإسلام محمد بن أبي بكر
ابن القيم بؤاه الله في دار السلام ، ألف كتاباً جامعاً لم يسبق إليه في ما جاء في
نعيم الجنان ومدارج الرضوان والغفران ، وهو باب من أبواب الترغيب ،
وقد سبقت رحمة الله سبحانه وتعالى على غضبه كما ورد ذلك في صحاح
الأحاديث ، ولم أقف له ولا لغيره على كتاب مستقل في ذكر النار ، وأحوال
الجحيم وما يقابل الراحة والعيش الآخر في دار النعيم . وهذا باب من أبواب
الترهيب ، وحاجة المسلم إليه أشد من الحاجة إلى الأول ، لأن الإيمان بين
الخوف والرجا ، والمرء بين الشدة والرخا ، والخوف يفعل في الخائف .

ملا يفعل الرجا في الراجي ، والخشية تميز تمييزاً كافياً وافياً بين الهالك والناجي ، وأن دين الإسلام ورد بالمهلكات كما جاء بالمنجيات ، وأن النبي ﷺ رغب وحذر وبشر وأنذر ، فهو المخبر الصادق بكلا الأمرين لإخباراً لا يخفى على ذى عينين ، ولكن الشيطان الرجيم غرهم بالغفران والإحسان ، وكادتهم النفس الأمارة بالسوء ووعدتهم بالرضوان والجنان ، ودخل عليهم إبليس من باب الرجا حتى أضلهم عن طريق الهدى ، فقالوا سيغفر لنا كما قال من قبلهم من الأمم ، ولم يعلموا أن بطش ربهم لشديد الألم ، وأن الدار الآخرة منقسمة إلى قسمين : رياض الجنة وحفر النار ، والعبد بين مخافتين إما أن يصير إلى النعيم بفضل سبحانه ، وإما أن يصر به عدلا منه إلى دار البوار ، وكل من قنع بالرجا ولم يلم بالخوف ، لم يعلم بعاقبة أمره ، ولم يعرف نفعه من ضره ، وإنما المؤمن الناجي من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، وأقلع نفسه في هذه الدار عما يوبقه ويهلكه عذباً كان أو مالها .

وفي حديث شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » قال في مجالس الأبرار ؛ هذا الحديث من حسان المصاييح . انتهى : وما أحسن ما قال بعض العارفين .

عجبت من شيخى ومن زهده وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب في فضة ويسرق الفضة إن نالها

ووعده المغفرة في كتاب الله منوط بالإيمان والعمل الصالح جميعاً ، فمن أقبر بلسانه أن الآخرة خير وأبقى ، ثم ترك العمل واشتغل بالمعاصي فهو من المغرورين بالدنيا والمسرورين بها والمحبين لها ، والكارهين للموت خيفة فوات لذتها لا خيفة فوات لذات الآخرة : وحول عقابها ، فهؤلاء هم الذين غرهم الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

وأما الذين غرهم بالله الغرور ، فهم الذين يعملون الأعمال ويشغلون بالمنكرات ويقولون إن الله رحيم ، نرجو رحمته ، وكرم تمنى مغفرته ، وهذا التمنى هو الغرور الذى غير الشيطان اسمه وسماه رجاء حتى خدع به كثيراً من الناس ، وقد شرح الله الرجاء بقوله : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) وقيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيات . هيات ، هلكت أمانهم يتردون فيها : من رجاء شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، وكما لا ينبت فى الدنيا زرع إلا بالحرث كذلك لا يحصل فى الآخرة أجر وثواب إلا بالإيمان الخالص والعمل الصالح والنية الصادقة ، وأن الله تعالى كما كان غافراً للذنوب وقابل التوبة فهو شديد العقاب أيضاً . وأنه مع كونه كريماً رحيماً خلد الكفار فى النار أبد الآباد ، مع أن كفرهم لا يضره بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على عباده فى الدنيا مع كونه كريماً قادراً على إزالتها .

فمن كانت سنته فى عباده كذلك كيف يغتر به العبد ولا يخافه ، وقد نخوف عباده .

ورجاء أكثر الخلق فى هذا الزمان هو سبب فتورهم عن العمل وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن طاعة الله تعالى وإهمالهم للسعى للآخرة ، وهم لا يعلمون أنه غرور وليس برجاء ، وقد غلب الغرور على آخر هذه الأمة كما غلب الطاعة على أولها .

قال الغزالي : قد كان الناس فى الزمان الأول يواظبون على الطاعات والعبادات ، ويبالغون فى الاحتراز عن الشهوات والشهوات ، ومع ذلك كانوا يخافون على أنفسهم ويكفون فى الخلوات ، وأما الآن فرى الخلق آمنين فرحين غير خائفين مع إصرارهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا وإعراضهم

عن طاعة الله ، ويزعمون أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله ، وراجون لعفوه ومغفرته ، ويقولون نعمته واسعة ورحمته شاملة . وأى شيء من معاصي العباد في بحار مغفرته ؟ ويسمون تمنّهم واغترارهم رجاء ويقولون إن الرجا محمود في الدين ، فكأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والسلف الصالح . انتهى .

هذا وكان يخطر في خلدي قديماً منذ ألفت كتاب « مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام » أن أولف كتاباً في أهوال النار وأهلها وصفة الجحيم حزنها وسهلها ، مقتصرآ في ذلك على ما ورد في آيات الكتاب العزيز وأدلة السنة المطهرة البيضاء . فلم يتفق لي هذا المراد لعوائق عاقتني وضاعت بها على الغبراء ؛ إلى أن حصل الآن فرصة نذرة فانتدبت لتحرير هذا المرام ظناً مني أنه لم يسبق لي مثل هذا التأليف قبلي أحد من الأعلام ، ولو كنت وقفت على مثل هذا الجمع لأحد منهم لم أكلف نفسي لجمع هذا الكتاب الموعود ، ولم أدخل في هذه العقبة الكثود ، ولكن الله يوفق بما شاء من عباده ، وله في أيام دهرهم نفحات ألا فليعرضوا لها في بلاده . وسميت هذا « يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار » . ورتبته على مقدمة وأبواب وخاتمة . أجازنا الله تعالى عن النار الحاطمة .

مقدمة

في بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها الجنة والنار

اعلم أن الله سبحانه صرح باسم الجنة في أول التوراة عند الكلام على ابتداء خلق العالم . ولفظها : « وغرس الإله جنة في عدن شرقاً . ووضع هناك آدم الذي خلقه » (١١) . ا . هـ .

ثم ذكر أن منها خرج نهر . وتفرع عنه : فيشون وحماقل وجيحون والفرات (١٢) .

فهذه هي الجنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (١٣) . وصح عن النبي ﷺ أن هذه الأربعة الأنهار خارجة منها ، كما في دواوين الإسلام وغيرها . واعترف بها رأس زنادقة اليهود : موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي في تأليفه ، المسمى « المشنة » في الفقه (١٤) . وفي كتاب اللغات في حرف العين

(١١) الآية السابعة من الأصحاح الثاني من سفر التكوين .

ع (١٢) الآية العاشرة وما بعدها من الأصحاح الثاني من سفر التكوين .

(١٣) (وقلنا يا آدم : اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) [البقرة ٣٥] .

(١٤) كتاب مؤمن بن ميمون المشار إليه « يد حزاقاء » وتفسيره « اليد القوية » وقد أطلق عليه اسم « المشنة » لشبهه بالمشنة الموجودة في التلمود . ومعنى « المشنة » المتن ويقابله « الجمارا » أي التفسير للمتن .

قال : ومعنى اسم عدن : التلذذ والتنعيم^(١٥) . ثم قال : إن تلك هي جنات النعيم ، وفردوس السعادة ، والصالحون باقون فيها ليستلذوا من نور الله . قال النبي أشعياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو ما لا عين تقدر أن تراه »^(١٦) .
١. هـ .

والتوراة أيضاً صرحت باسم النار ، ولفظها « سول واش » قال علماء

(١٥) في تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنس دافدنس الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ في بيروت تحت كلمة « عدن » : « عدن : هذه الكلمة تعني « سرور » أما الجنة ومعناها « الفردوس » وهي اسم فارسي لمكان مسر كهذا . لذا فإنها قد استعملت للإشارة إلى جنة عدن » وفي التفسير المذكور عن مكان الجنة : « لا يمكن تحديد مكان هذه الجنة بالضبط » ولا أدري آخذوا هذا الرأي من المعزلة يرحمهم الله تعالى ويجزل لهم الأجر والثواب أم آخذوه المعزلة عن أسلافهم ؟ يقول المعزلة : « إن آدم هبط من بستان على ربوة من الأرض » ويقول أهل السنة إن الجنات سبع « أعلاها وأفضلها الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر أنهار الجنة فجنة المأوى فجنة الخلد فجنة النعيم فجنة عدن فدار السلام فدار الخلال » . هذا ما ذهب إليه ابن عباس وجماعة وذهب الجمهور إلى أنها أربع بدليل ما في سورة الرحمن وقيل الجنة واحدة وما تقدم أسماء لمسمى واحد إذ كل اسم صالح لها . والجنة والنار موجودتان الآن . والجنة هي التي أهبط منها آدم عليه السلام خلافاً للمعزلة الداهيين إلى أنها سيوحدان في الآخرة . . . إلخ » [انظر شرح الخريدة للدردير ص ٥٦ - طبعة صبيح للأزهر] .

(١٦) هذا النص استشهد به القديس بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس في الآية التاسعة من الأصحاح الثاني ونص استشهاده هكذا : « بل كما هو مكتوب : ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعد الله للذين يحبونه » يشير بما هو مكتوب إلى المكتوب في سفر أشعياء في الأصحاح الرابع والستين الآية الرابعة أو إلى المكتوب في سفر أشعياء في الأصحاح الخامس والستين الآية السابعة عشرة . والشيخ صديق قال : قال النبي أشعياء في حقيقة ذلك التلذذ « هو ما لا عين تقدر تراه » ولم يوضح رقم الأصحاح وعلى أية حال يقول مفسرو النصارى في تفسير كلام بولس في كورنثوس الأولى ٢ : ٩ ما نصه : « وهذا الاقتباس يعيد للذكرى آيتين في أشعياء [٦٤ : ٤ و ٦٥ : ١٧] ولكن الظاهر أنه غير مستمد منهما وهو وارد في رسالتى أكليميندس الروماني الأولى والثانية وفي كتابات الغناطسة في القرن الثاني وفي كتابين من كتب الصلاة في المهود الأولى . وما يزال المصدر الذي أخذ عنه هذا الاقتباس مشككاً لم تحل حتى الآن ، وصياغته المنظومة تدل على أنه ربما نقل عن ترنيمة مسيحية في عصر مبكر » [انظر تفسير رسالة كورنثوس الأولى تأليف الدكتور براون . نقله إلى العربية حبيب سعيد - صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية - بولاق - مصر] .

اليهود ، ومعنى اللفظين جهنم . وفيها غير ذلك من الآيات كثير ، كما في الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين [الأحبار] ولفظه : « أحكامى تعلمون ، وفرائضى تحفظون . لتسلخوا فيها ، أنا الرب إلهكم ، فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . أنا الرب (١٧) » ا . هـ . ولا حياة دائمة فى الدنيا بل فى الآخرة ، وفى الأصحاح (الفصل) الخامس من سفر الأمثال لسليمان عليه السلام « ويجعلهم بعد الموت إلى الجحيم (١٨) » ا . هـ . وفى الأصحاح السادس والعشرين من نبوة أشعيا ما لفظه : « نجيا أمواتك : تقوم الجلث (١٩) » ا . هـ وفى سفر دانيال ما لفظه : « وكثيرون من الراقيدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار ، والازدراء الأبدى (٢٠) » ا . هـ .

وأما الزبور (٢١) ففيه نصوص كثيرة ، فى التصريح بذكر النار ، جاء فى المزمور التاسع والأربعين ما لفظه : « مثل الغنم للهاوية يساقون . الموت يرعاهم . ويسودهم المستقيمون غداة .. وصورتهم تبلى ، الهاوية مسكن لهم :

(١٧) سفر اللاويين ويسمى سفر الأحبار . الآية الرابعة والخامسة من الأصحاح (الفصل) الثامن عشر

(١٨) توجد آيتان بهذا المعنى فى الأصحاح الخامس من سفر الأمثال الآية الحادية عشرة والآية الثانية والعشرون . ولا أدرى إلى أى الآيتين يشير ؟ وعلى كل : سياق الحديث لا يشير إلى القيامة . بل إلى الابتعاد عن الزنى لئلا يهلك الجسد وتنحط قوته والآيتين هكذا : « فتنوح فى فى أو اضرك عند فناء لحمك وجسمك » - « الشرير تأخذ آثامه وبحبال خطيته يمسك » .

(١٩) هذا النص فى الأصحاح السادس والعشرين من سفر أشعيا الآية التاسعة عشر . ولا يقصد به أشعيا يوم القيامة بل يقصد : أن اليهود سيستيقظون وقت مجيء نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم على حد قوله تعالى : (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) بدليل قوله فى أول الأصحاح : « افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة . . . إلخ » وبدليل قوله بعد النص : « استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن ذلك ظل أعشاب . . . إلخ » .

(٢٠) الآية الثانية من الأصحاح الثانى عشر من سفر دانيال . :

(٢١) يسمى الآن سفر المزامير .

إنما الله يفدى نفسه ، من يد الهاوية ؛ لأنه يأخذني^(٢٢) ا. ه. وفي المزمور الخامس والخمسين : « ليبغتهم الموت ، لينحدروا إلى الهاوية أحياء . لأن في مساكنهم ، في وسطهم شروراً^(٢٣) » ا. ه .

وفي المزمور السادس ما لفظه : « وأنت يا رب فحى متى ، عد يا رب : نج نفسي . خلصني من أجل رحمتك ؛ لأنه ليس في الموت ذكرك ، في الهاوية من يحمذك ؟^(٢٤) » ا. ه. وفي المزمور التاسع : « الشرير يعلق بعمل يديه . . . الأشرار يرجعون إلى الهاوية^(٢٥) » ا. ه. وفي المزمور السادس عشر :

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع ثقيبك يرى فساداً^(٢٦) » ا. ه.

* * *

وفي الإنجيل ذكر الجنة والنار في مواضع كثيرة ففي الإصحاح الخامس من الإنجيل الأول إنجيل متى « ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم — إلى قوله — ولا يلقى جسداً كله في جهنم^(٢٧) » وفي الإصحاح العاشر من

— (٢٢) الآيتان الرابعة عشرة والخامسة عشرة من المزمور التاسع والأربعين حسب ترجمة البروتستنت بمصر سنة ١٩٧٠ م .

— (٢٣) الآية الخامسة عشرة من المزمور الخامس والخمسين . بروتستنت .

(٢٤) الآيات : الثالثة والرابعة والخامسة من المزمور السادس — بروتستنت .

(٢٥) الآيتان السادسة عشرة والسابعة عشرة من المزمور التاسع — بروتستنت .

(٢٦) المزمور السادس عشر الآية التاسعة والعاشر — بروتستنت .

(٢٧) من الآية الثالثة والعشرين إلى نهاية الآية الثلاثين من إنجيل متى الإصحاح الخامس .

متى : « بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (٢٨) ا. هـ.

وفى ذلك تضريح بحشر الأجساد . وفى الأصحاح الثالث عشر من متى : « يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعائر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (٢٩) . وفى الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس ما لفظه : « وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ . حيث دورهم لا يموت والنار لا تطفأ » (٣٠) . وفى الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا ما لفظه : « ومات الغنى ودفن فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب » (٣١) ا. هـ.

وفى الأصحاح الثامن عشر من متى : صرح بذكر دخول النار المؤبدة . وبذكر دخول جهنم (٣٢) . وفى الأصحاح الثانى والعشرين من متى ما لفظه : « فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون . الذين يقولون ليس قيامة (٣٣) » ا. هـ.

(٢٨) الآية الثامنة والعشرون من الأصحاح العاشر من إنجيل متى . وهذه الآية فى ثنايا وصية المسيح عيسى عليه السلام لتلاميذه أن يصرحوا بجميع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ولا يخافون من الاضطهادات . وقد لقب المسيح عليه السلام نبي الإسلام بلقب « ابن الإنسان » اللقب الذى تحدث به عنه دانيال النبي فى الأصحاح الثانى والسابع من سفره .

(٢٩) الآيتان : واحد وأربعون واثنتان وأربعون من الأصحاح الثالث عشر من متى . ولا يشير المسيح بهذا النص إلى يوم القيامة . بل يشير إلى مجيئ نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ويلقبه « ابن الإنسان » والمراد بملاكته : أتباعه وصحابته حين يرسلهم لفتح البلاد الإسرائيلية لنشر الإسلام فيكون الأشرار [انظر كتابنا : البشارة بنبي الإسلام فى التوراة والإنجيل] .

(٣٠) الآيات : ثلاثة وأربعون إلى ستة وأربعين من الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس .

(٣١) الآية الثانية والعشرون من الأصحاح السادس عشر من لوقا .

(٣٢) وفى الآية الثامنة من الأصحاح الثامن عشر من متى : « فإن أعزتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية يدان أو رجلان » .

(٣٣) الآية الثالثة والعشرون من الأصحاح الثانى والعشرين من متى .

فانظر إلى هذا النص الصريح بالقيامة . وإلى التصريح بأن الذين يقولون : لا قيامة هم الصدوقيون. وكفى بهذا دافعاً في وجه من زعم أن إثبات ذلك زنادقة في الشريعة السابقة كما ذكره زنادقة في هذه الشريعة المحمدية .

وفي الأصحاح الخامس والعشرين من متى . ما لفظه : « ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته (٣٤) » .

وفي هذا التصريح بما لا يحتاج إلى زيادة . وهذه النقول من الإنجيل الذى جمعه متى (٣٥) ونحوه أيضاً في الأناجيل الأخرى التى جمعها يوحنا ومرقس . وغيرهما ، وفي إنجيل لوقا في الأصحاح العشرين منه : « وأما أن الموتى يقومون : فقد دل عليه موسى (٣٦) » وفي الأصحاح الثالث والعشرين أن المسيح قال للمصلوب ما لفظه : « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنك اليوم تكون معى فى الفردوس (٣٧) » انتهى . وفي الإنجيل الذى جمعه يوحنا في الأصحاح الخامس . ما لفظه : فإن تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة . والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (٣٨) » وفي الأصحاح السادس من يوحنا « أن كل من يرى الابن . ويؤمن به . تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير (٣٩) » .

(٣٤) الآية الحادية والأربعون من الأصحاح الخامس والعشرين من متى .

وفي هذه الآية فى سياق الحديث عن « ابن الإنسان » .

(٣٥) ليست نصوصه من متى فقط . بل من متى ومرقس ولوقا .

(٣٦) الآية السابعة والثلاثون من الأصحاح العشرين من لوقا .

(٣٧) الآية الثالثة والأربعون من لوقا الأصحاح الثالث والعشرين .

(٣٨) الأيتان الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من الأصحاح الخامس من يوحنا وهو لا يشير بالآيتين إلى يوم القيامة . بل التعبير مجازى عن « ابن الإنسان » .

(٣٩) انظر فصل أقنوم الابن فى كتابنا ، أقانيم النصارى . وهذه الآية رقم أربعة فى الأصحاح السادس من يوحنا .

وفي الأصحاح الثامن من يوحنا ما لفظه : « الحق . الحق أقول لكم : إن كان أحد يحفظ كلامي . فلن يرى الموت إلى الأبد » انتهى .

ولذا عرفت هذا المصرح به الإنجيل . هكذا صرح الحواريون من أصحاب المسيح عليه السلام في رسائلهم المعروفة ، وهذه النصوص ترد على بن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة قوله وهو : إن كل ما في التوراة من الوعد والوعيد فهو منافع الدنيا ومضارها ، ولم يأت فيها ما يتعلق بما بعد الموت ، وأما المسيح فإنه صرح بالقيامة وبعث الأبدان ولكن جعل العقاب روحانياً وكذلك الثواب ^(٤١) . انتهى ، وكذلك ترد على رئيس الملاحدة ابن سينا حيث قال إن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والملبس والمشرب . والمنكح ^(٤٢) ، انتهى .

(٤٠) الآية الحادية والخمسون من الأصحاح الثامن من يوحنا وهي مكررة كثيراً في يوحنا .
(٤١) ابن أبي الحديد لم يكذب فيما نقله عن اليهود العبرانيين والنصارى . فإن التوراة العبرانية وضع فيها الأحبار النص عن يوم القيامة محتملاً لمعنيين إما أجزاء في الدنيا وإما الجزاء في الآخرة . وأما التوراة السامرية ففيها النص واضح عن يوم القيامة كما بينا في التقديم والشيخ صديق حسن خان لم يذكر نصاً على يوم القيامة من توراة موسى [الأسفار الخمسة] وإنما كما رأينا نقل نصوصاً من أسفار الأنبياء وبعض النصوص التي ذكرها لا تقل صراحة على القيامة والنص الذي ذكره من توراة موسى عن الجنة كما رأينا محتملاً لبستان في الأرض ومحتملاً لدار الثواب . فكيف يلوم الشيخ صديق الشيخ ابن أبي الحديد ؟ والنصارى إلى الآن يقولون بالبعث الروحاني [انظر تفسير متى هنري للأصحاح الثاني والعشرين من متى الآية الثالثة والعشرين وما بعدها الجزء الرابع] وذلك لأنهم يعتمدون على السؤال الذي قدمه الصدوقيون للمسيح عن المرأة التي تزوجت سبعة رجال . يوم القيامة تكون لمن ؟ والصدوقيون طائفة من العبرانيين لا تؤمن إلا بتوراة موسى وترفض أسفار الأنبياء وتقاليدهم الفريسيين . فلو كان النص عن يوم القيامة واضحاً ما يجادل الصدوقيون في يوم القيامة ؟ وما طلبوا من المسيح دليلاً عليه ؟ ولم يجد المسيح في التوراة العبرانية نصاً صريحاً على القيامة فلذلك اتهم دليلاً عقلياً مستنبطاً من آية في التوراة . هذه الآية التي تقول إن الله كلم موسى وقال له : أنا إله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ووجه الاستنباط : لو كان إبراهيم بعد ما مات قد قضى عليه وتلاشى من الوجود لقضى أيضاً على علاقة الله به كإله ولكن الله في الوقت الذي تحدث مع موسى قال « أنا إله إبراهيم » ولذلك فلا بد أن إبراهيم كان حياً وقتئذ ، الأمر الذي يبرهن على خلود النفس في حالة السعادة وهذا يتبعه بلا شك قيامة الجسد لأن انفصال النفس عن الجسد انفصالاً نهائياً أبدياً لا يتفق مع سعادة أولئك الذين اتحدوا الله لهم .
(٤٢) لماذا عد ابن سينا من الملاحدة ؟ إنه يحكي اعتقاد النصارى كما حكى ابن أبي الحديد . =

قال شيخنا العلامة المحجّد المطلق محمد بن علي الشوكاني في المقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة : إن أصل هذه المقالة الملعونة والرواية عن التوراة والإنجيل المكذوبة ، مقالات قالها جماعة من مترنقة اليهود النصارى كابن ميمون وأضرابه (٤٣) .

وأنتهم أى اليهود كفروه ولعنوه بسبب هذه المقالة ، وقد وقع من هذا الملعون التحريف لما في التوراة وتلقى ذلك عنهم زنادقة الملة الإسلامية استرواحاً منهم لما يتضمن من القدح في شرائع الله سبحانه : انتهى .

ثم نقل ما في التوراة والزبور والإنجيل نحو ما ذكرنا وزاد في النقل في رسالته التي سماها « إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات » وهذه الكتب الثلاثة الإلهية موجودة عندنا باللسان العربي فاستفاد من ذلك أن الأمر خلاف ما قاله زنادقة الملة اليهودية والملة النصرانية ثم تعقب الشوكاني رحمه الله ابن ميمون وابن أبي الحديد وأوضح فسادهم ثم قال :

وأما نصوص القرآن فهو من فائحته إلى خاتمته مصرحة بالجنة والنار وبعثه

= وناقل الكفر ليس بكافر إن النصارى أثبتوا بعث الأبدان وخلوها عن المطعم والمبلى لأنهم قالوا بالنعيم الروحاني واستندوا في ذلك على ما جاء في الإنجيل ونصه : « في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسالوه قائلين : يا معلم . قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً في القيامة لمن من السبعة تكون زوجة ؟ فإنها كانت للجميع . فأجاب يسوع . وقال لهم : تفضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كلائكة الله في السماء » [متى ٢٢ : ٢٣ - ٢٩] وهذا ما جاء في الأصحاح الثامن والعشرين من إنجيل متى أما ما جاء عن المسيح في إنجيل برنابا ففيه تصريح بالنعيم الجسماني وهو الصحيح .

(٤٣) لا يوجد من النصارى من ينكر البعث . والذي أنكره من اليهود طائفة الصدوقيين من العبرانيين وقد اعترف به السامريون وطائفة الفريسيين من العبرانيين وابن ميمون لم ينكر البعث مطلقاً إنما أنكر البعث الجسماني وأثبت البعث الروحاني كما يقول الشيخ صدقي . « وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية . . . إلخ » .

الأجسام وتنعمها أو تعذيبها بما اشتمل عليه القرآن من أنواع ذلك ، ومن تتبع ما في كتاب الله سبحانه من حكاية نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار عن الملل السالفة وعن كتب الله المنزلة عليها وجده كثيراً جداً لا يتسع المقام لبسطه ، وقد بعث النبي ﷺ وأهل الملة اليهودية والملة النصرانية في أكثر بقاع الأرض ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك أو قال هو خلاف ما في التوراة والإنجيل ، وقد سكن النبي ﷺ في المدينة الشريفة ونزل عليه أكثر القرآن بها ، وكان اليهود متوافرين فيها وفيما حولها من القرى المتصلة بها ، وكانوا يسمعون ما ينزل الله على رسوله ﷺ من القرآن وينكرون ما ورد مخالفاً لما في التوراة ويجادلون أبلغ مجادلة ، كما حكى ذلك القرآن الكريم وقصصته كتب السير والتاريخ ، ولم يسمع أن قائلاً قال إنك تحكى عن التوراة ما لم يكن فيها من البعث ونييم الجنة وعذاب النار ، وقد كانوا يتهاكون على ذلك ويبالغون في تتبعه بل كانوا في بعض الحالات ينكرون وجود ما هو موجود في التوراة كالرجم (٤٤) .

فكيف يسكتون عن هذا الأمر العظيم مع سماعهم لحكاية القرآن له عنهم وعن التوراة، وهل كانوا يعجزون عن أن يسمعوها حكاية الله عنهم من قولهم : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) أن يقولوا ما قلنا هذا ولا نعتقد ولا جاءت به شريعة موسى ، وهكذا عند سماعهم قوله تعالى : (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .

وبهذا تبين أن هذه المقالة لم يسمع بها اليهود ولا النصارى إلا في عصر رأس الزنادقة ابن ميمون عليه لعائن الله تعالى . انتهى كلامه .

وكلام ابن ميمون هذا كما هو مخالف للملة اليهودية ولما جاءت به التوراة

(٤٤) حكم الرجم المذكور في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية . ومن النصوص : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدتها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة وأرجمهما بالحجارة حتى يموتا » .

ولما قاله علماء اليهود هو أيضاً مخالف للملة النصرانية^(٤٥) ولما جاء به الإنجيل وقاله علماء النصارى ، ومخالف أيضاً لما جاءت به الشريعة الداودية^(٤٦) وما صرح به الزبور ومخالف أيضاً لما جاءت به الملة الإسلامية وما صرح به القرآن الكريم وأجمع عليه علماء الإسلام بل مخالف لشرائع الأنبياء جميعاً كما حكى ذلك عنهم القرآن فنحن وإن لم نقف على غير التوراة والزبور والإنجيل من شرائع الأنبياء السابقة فقد حكاهما لنا القرآن في غير موضع كقوله تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وقوله : (يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) ، وقوله حاكياً عن مؤمن آل فرعون^(٤٧) : (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) إلى قوله - : (وإن الآخرة هي دار القرار) إلى قوله : (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) وقوله : (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعتك إني) إلى قوله : (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) إلى آخر الآيات بطوله .

والحاصل أن هذا أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ، ولم يخالف فيه أحد ،

(٤٥) الملة النصرانية ليست شريعة منفصلة عن شريعة موسى . لأن المسيح صرح بقوله : « ما جئت لأتقض التاموس أو الأنبياء » [متى ٥ : ١٧] ما جاء لنسخ شريعة التوراة ولا لإبطال كتب الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى بل جاء للإصلاح فلن ترجمة « بل لأكمل » في الأصل اليوناني « بل لأصحح » وعلى ذلك فكل ما تركه موسى ملزم تمام الإلزام للنصارى . وكان المسيح يحل بعض ما حرمه علماء اليهود على الناس من التشديدات التي ابتدعوها . كفصل الأيدي قبل الطعام ونحوه وما كان يحل بنصوص من الإنجيل لتحريم موجود بنصوص في التوراة فالمسيح لم يغير من التوراة كلمة واحدة .

(٤٦) لم يكن الزبور الذي نزل على داود عليه السلام شريعة مثل شريعة موسى . بل هو عبارة عن أدعية وتسابيح وتنبؤات عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم مثل الإنجيل سواء بسواء .

(٤٧) ظهر من آثار المصريين القدماء اعترافهم بالبعث في قصة الفلاح الفصيح : « اكبح جماح السارق ودافع عن الفقير ، ولا تكن صد الشاكي . واحذر من قرب الآخرة » [الأدب المصري القديم ج ١ - ص ٨٦ سليم حسن] .

وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل والنحل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك إلا ما تقدم من ابن ميمون الملعون وأفراخه فإنه وقع عنه كلام في إنكار المعاد، ثم اختلف كلامه في ذلك فتارة يثبتها وتارة ينفيها، وإنما أنكر أن يكون فيه لذات حسية جسمانية بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا^(٤٨) فقلده ونقل

(٤٨) ابن سينا من فلاسفة المسلمين الذين اعترفوا بالبعث. ثم اختلف مفسرو كلامهم : هل يقولون بالبعث الروحاني أو الجسماني والروحاني معاً ؟ جمهور المفسرين لكلام ابن سينا يقرون بأنه ينكر البعث الجسماني ولا ينكر البعث الروحاني غير أنه توجد إشارات في كتابه بالإشارات يمكن أن تكون منه اعترافاً بالبعث الجسماني والروحاني معاً .

يقول ابن سينا في الإشارات : « إن العقاب للنفس على خطئها - كما ستعلم - هو كالمرض للبدن على فهمه ، فهو لازم من لوازم ما ساقته إليه الأحوال الماضية التي لم يكن من وقوعها بد وأما الذي يكون على جهة أخرى من مبدأ له من خارج فحديث آخر » ا. هـ .

ويقول شارح الإشارات في تعليقه على هذا النص بعد أن يبين عقاب النفس من داخل ذاتها : « . . . لكن الآيات الواردة بالوعيد في الكتب الإلهية لو أجريت على ظواهرها لاقتضت القول بعقاب جسماني وارد على بدن الممتن من خارج على ما يوصف في التفسير والأخبار » ا. هـ .

فأشار الشيخ إلى ذلك بقوله :

« وأما العقاب الذي يكون على جهة أخرى من مبدأ له من خارج فحديث آخر . أي إثباته على الوجه المشهور لكان سمعياً » ثم يقول ابن سينا : - « ثم إذا سلم معاقب من خارج فإن ذلك أيضاً يكون حسناً لأنه قد كان يجب أن يكون التخويف موجوداً في الأسباب التي تثبت فتتفع في الأكثر . والتصديق تأكيد للتخويف . فإذا عرض من أسباب القدر أن عارض واحد مقتضى التخويف والاعتبار فركب الخطأ وأتى بالجريمة وجد التصديق لأجل الغرض العام وإن كان غير ملائم لذلك الواحد . ولا واجباً من مخار رحيم . لو لم يكن هناك إلا جانب المبتلى بالقدر ولم يكن في المفسدة الجزئية لمصلحة عامة كثيرة . لكن لا يلتفت لفت الجرئ لأجل الكل كما لا يلتفت لفت الجزء لأجل الكل فبقطع عضو يؤلم لأجل البدن بكليته ليسلم » ا. هـ .

ويتناول شارح الإشارات النص بالشرح والتحليل ثم يختم شرحه بقوله :

وقد تبين من ذلك : أن ما ورد به التنزيل إذا حمل على ظاهره لم يكن مخالفاً للأصول للحكمة » ا. هـ .

[كتاب الإشارات ص ٧٤٢ - ٧٤٤ خراج الدكتور سليمان دنيا] .

٣٤٠

عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية إثبات المعاد.
تقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديق مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة.
وسموه (٤٩) كافراً وتبع ابن سينا ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وهلم
جرا.

(٤٩) اليهود إلى يومنا هذا : يعتقد كثير منهم أن ابن ميمون مات مسلماً ..

(باب)

في بيان وجود النار الآن

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحدِيث قاطبة ، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك حواشيته ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، كما تقدم في المقدمة ، فإنهم دعوا الأئمة إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة عن أهل البدع والأهواء فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة موجودة ، وقالت بل الله ينشئها يوم المعاد ، وأن خلق النار قبل الجزاء عبث فإنها نصير معطلة مددًا متطاوله ليس فيها سكانها ، فردوا من النصوص الأصول والفروع ، وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه بما لا يضمن ولا يغني عن جوع . ولهذا صار السلف الصالحون من نحائهم يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان في الحال ، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحدِيث كافة لا يختلفون فيها ، منهم أبو الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » .

وقد ذكر الله تعالى النار في كتابه في مواضع كثيرة يتعسر حدها ويفوت عدها ووصفها . وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعنها فقال عز من قال : « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » وقال : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) وقال : (إنا أعدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها) وقال : (إنا أعدنا جهنم للكافرين نزلاً) وقال : (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وقال تعالى : (أغرقوا فأدخلوا ناراً) وقال : (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً) . وقال : (فلإنا أعدنا للكافرين سعيراً) وقال : (وأعدنا لهم عذاب

السعير) وقال : (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) إلى غير ذلك من الأدلة القطعية التي كلها صيغ موضوعة للمضى حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجازات إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنى لهم ذلك ؟

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات تعرض عليه مقعده بالغدادة والعشى إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وفيهما أيضاً أن النبي ﷺ رأى في صلاة الكسوف النار فلم ير منظرأ أفظع من ذلك ، وفي البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه ، ورواه الترمذي والنسائي أيضاً .

وفي الصحيح « باب صفة النار . وأنها مخلوقة الآن » وعن أبي ذر عن النبي ﷺ : أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير ، رواه البخاري أي من ذلك التنفس .

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ : الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء . رواه البخاري وفي رواية من فور جهنم رواه عن رافع بن خديج .

وكل ذلك يفيد وجود النار الآن ، وفي مسند أحمد وسنن أبي داود . والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : ولقد أدنيت النار مني حتى جعلت أبقها خشية أن تغشاكم ، الحديث . وفي صحيح مسلم من حديث أنس .

رضى الله عنه أنه ﷺ قال : لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً قالو وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال رأيتم الجنة والنار .

وفي مسند أحمد ومسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدده الله لأهلها فيها فرجع وقال : بعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر الجنة فحُفَّتْ بالمكارة فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها . قال فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، ثم أرسله إلى النار وقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحُفَّتْ بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين من حديثه أيضاً رفعه : حُجِبَتِ الجنة بالمكارة وحُجِبَتِ النار بالشهوات ، وفي الباب أخبار كثيرة ، وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقائده : الجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان إلى يوم القيامة انتهى ، ونحوه ومثله في الكتب الأخرى المؤلفة في أصول الدين .

(باب)

في أن النار لا تفتنى ولا يفنى ما فيها

قال تعالى: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم وقال تعالى: (يدخله ناراً خالداً فيها) وقال تعالى: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وقال تعالى: (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) وقال تعالى: (فإن له نار جهنم خالداً فيها) وقال: (فادخلوا نار جهنم خالدين فيها) وهذه في غير موضع من القرآن، وقال: (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) وقال: (في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار) وقال: (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون) وقال: (فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين فيها) وقال: (في نار جهنم خالدين فيها أبداً) وقال: (وما هم بخارجين من النار).

وعن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه» أخرجه الشيخان وفي رواية عنه عندهما فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين، ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين، فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها» أخرجه البخاري ومسلم.

وفي هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة عن الترمذي وصححه والحاكم وابن ماجه، وعن أنس عن أبي يعلى والبزار والطبراني وفيه. فيذبح كما تذبج

الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء ، فثبت بما ذكر من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم .

وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة ، وزعمت الجهمية أن الجنة والنار تفتيان ، قال هذا جهنم بن صفوان إمام المعطلة وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة .

نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين وحاصل ذلك كله سبعة أقوال :
أحدها : قول الخوارج والمعتزلة أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها يخلد فيها أبداً الآباد .

الثاني : قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول محيي الدين بن عربي الطائي في كتابه «نصوص الحكم» وغيره من كتبه .

الثالث : قول من يقول إن أهل النار يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فكذبهم فيه وقد كذبهم الله تعالى أيضاً في قوله : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتأخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساده :

الرابع : قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض أهل الفرق قال : والقرآن والسنة يردان هذا القول .

الخامس : قول من يقول تفتى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن ، وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبديته ، وهذا قول جهنم بن صفوان وشيعته ولا يفرق عنده بين الجنة والنار .

السادس : قول من يقول تفتى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها ، والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم .

السابع : قول من يقول إن الله تعالى يفتيها لأنه ربها وخالقها ، لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفتى. ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين ، ولشيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق الحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى ركون إلى هذا القول ، وذكر ابن القيم على تأييده بضعا وعشرين وجهاً ثم قال : وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المنان به ، وما كان من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه . والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم . انتهى .

وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها « توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين » وفي الباب رسالة للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني حاصلهما بقاء الجنة والنار وخلود أهلها فيهما . وهو الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأئمة والأمة والله أعلم .

٤١٢

قال القرطبي : أجمع علماء أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها كيبلّيس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطفئ ونجبر فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، وقد أعد لهم الله عذاباً أليماً فقال عز وجل : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد . فاعلمه .

وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء فقال : إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وشيطان وجاحد ويدخل الجنة وإنه جائز في العقل أن تنقطع بصفة الغضب ، فيعكس عليه فيقال وكذلك جائز في العقل : أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن تدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق قال تعالى في حق أهل الجنان : (عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع وقال : (وما هم منها بمخرجين) وقال : (لهم أجر غير ممنون) وقال : (لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً) وقال في حق الكافرين : (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وقال : (فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) وهذا واضح .

وبالجملة فلا مدخل للعقول فيمن اقتطع أصله بالإجماع والتقول . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، انتهى .

ولعل القرطبي أراد بقوله « زل هنا بعض » الشيخ محي الدين بن عربي صاحب الفتوحات فإنه ذهب إلى ذلك وتبعه من تبعه من علماء الشريعة ، وبناء هذا القول على أنه ترجح في أنظارهم سبق رحمة الله على غضبه كما ورد بذلك الحديث الصحيح في البخارى وغيره وعلى أن الخلف في الوعيد جائز وفي الوعد لا يجوز ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن لا ريب في أن ظاهر النظم القرآنى وواضح النص السنّى : خلود كل من أهل النار والجنة في كل

من الجنة والنار . وهو الحق المطابق بالأدلة الشرعية المجمع عليها المصار إليها :
والله أعلم وعلمه أتم وأحكم .

مسألة :

سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله عن حديث روى عن أنس
ابن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء :
النار وسكانها ، والجنة وسكانها ، واللوح والقلم والكرسى والعرش » فهل
هذا الحديث صحيح أم لا .

فأجاب رحمه الله : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ
ولمّا هو من كلام بعض العلماء ، وقد اختلفت سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل
السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعلم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار
والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام
المتباعدة كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل
مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، وقد دلت الأدلة
على بقاء الجنة والنار وأهلها وبقاء ذلك ، وقد استدلت طوائف من أهل
الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية . انتهى ولا يتسع
المقام لذكرها هنا .

* * *

(باب)

في ذكر مكان النار ، وأين هي ؟ على مقتضى
الآثار ، وكذا مكان الجنة

فاعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى في
حكم القرآن : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)
وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة : وقال تعالى : (وفي السماء
رزقكم وما توعدون) قال مجاهد هو الجنة ، وتلقاه الناس عنه رواه ابن
أبي نجيح ، وفي رواية عنه : هو الجنة والنار . حكاه ابن المنذر في تفسيره .

وعن عبد الله ابن سلام قال : قال أكرم خليفة الله أبو القاسم عليه السلام
« إن الجنة في السماء » أخرجه أبو نعيم ، وعنده أيضاً عن ابن عباس : « أن الجنة
في السماء السابعة » ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، « وجهنم في الأرض
السابعة » وعن ابن مسعود رضى الله عنه : « الجنة في السماء السابعة فإذا كان
يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة
جعلها الله حيث شاء » أخرجه ابن منبه .

وقال مجاهد قلت لابن عباس : « أين الجنة ؟ قال فوق سبع سموات ، قلت
فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة » رواه ابن منبه ، قال الشوكاني في
فتح القدير : والأولى الحمل على ما هو الأعم من هذه الأقوال فإن جزاء
الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها . انتهى .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن جهنم
محيطة بالدنيا . وإن الجنة وراءها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى
الجنة » أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه مثيل رسول الله ﷺ من أين يجاء بهم يوم القيامة ؟ قال يجاء بها من الأرض السابعة لها سبعون ألف زمام يتعلق بكل زمام سبعون ألف ملك تصيح إلى أهلى إلى أهلى فإذا كانت من العباد على مسير مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه فيقول رب نفسى نفسى ، وأخرجه جويرى فى تفسيره .

وعن يعلى بن أمية رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « البحر هو جهنم » أخرجه أحمد والبيهقى بسند رجاله ثقات ، وعن سعيد بن أبى الحسين قال : « البحر طبق جهنم » أخرجه أحمد فى الزهد ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ما رأيت يهودياً أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هى البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسمعه . أخرجه أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى من طريق سعيد بن المسيب .

وعن كعب فى قوله تعالى : (والبحر المسجور) قال البحر بسجر فيصير جهنم ، أخرجه أبو الشيخ وعن وهب بن منبه أنه قال : إذا قامت القيامة أمر بالخلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرف العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذا انشقت اشتعلت فى الأرضين السبع فتدعها بجمرة واحدة ، أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

وقيل إن النار فى السماء كالجنة لما روى أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : أتيت بالبراق فلم نزأل طرفه عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار ، وأخرج أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى بي الجنة والنار فى السماء ، وقرأ هذه الآية : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فكانى لم أقرأها .

قال السفارنى وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز

أن يراها في الأرض وهو في السماء ، وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض ، وثبت أنه عليه السلام رآهما وهو في صلاة الكسوف وهو في الأرض .

قال الحافظ ابن رجب : وحديث حذيفة إن ثبت فالسما ظرف للرؤية لا للمرئي . وفي حديث ضعيف جداً أنه عليه السلام رأى الجنة والنار فوق السموات فلو صح على حمل ما ذكرنا .

والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق ؛ انتهى .

أقول قال السيوطي في إتمام الدراية شرح النقاية : ونعتقد أن الجنة في السماء وقيل في الأرض وقيل بالوقف حيث لا يعلمه إلا الله ، والذي اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله تعالى في قصة آدم : (قلنا اهبطوا منها) وفي الصحيح سلوا الله الفردوس فإنه أعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفي صحيح مسلم : « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » . وتوقف عن النار أى تقول فيها بالوقف أى محلها حيث لا يعلمه إلا الله ، فلم يثبت عندى حديث اعتمده في ذلك وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضعفه من حديث ابن عمر مرفوعاً لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر ناراً . وروى عنه أيضاً موقوفاً لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم وضعفه ، وقيل هي على وجه الأرض لما روى وهب أيضاً .

قال أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالا صغاراً — إلى أن يقال — يا قاف أخبرني عن عظمة الله فقال إن شاء ربنا لعظيم . إن ورأى أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال تلج يحطم بعضها بعضاً ولولا هي لأحترقت من جهنم . وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله بن سلام

قال : الجنة في السماء والنار في الأرض ، وقيل محلها في السماء . انتهى كلامه
السيوطي ومثله في التذكرة للقرطبي قال : فهذا يدل على أن جهنم على وجه
الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في عقيدته : ولم يصرح نصره
بتعيين مكانهما بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه ، انتهى .

أقول وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله تعالى .

* * *

(باب)

في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم

قال القرطبي في التذكرة : ذكر الله تعالى النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها وأوعدها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهامهم ، والآي في هذا المعنى كثيرة ، انتهى . وهذا الكثير أذكره في بابين فهذا الباب أوردت فيه ما ورد من ذكر النار في الكتاب ثم أتبعه بباب آخر أذكر فيه ما ورد في صفة النار وأهلها وإن كان في هذا الاختيار والترتيب بعض التكرير وبالله التوفيق .

قال تعالى : (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ، الوقود بالفتح الحطب وباضم التوقد وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها ، وفي هذا من التحويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تنقد بالناس والحجارة فأوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها ، ومعنى (أعدت) جعلت عدة لمعذابهم وهيئت كذلك قاله ابن عباس .

وعن أنس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهيبها ، أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وأخرج بن أبي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوع مثله وأخرج أحمد ومالك والبخاري ومسلم عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال : (نار بنى آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم . قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال فإنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها) .

وعن أبي هريرة قال : ترونها جبراء مثل ناركم هذه التي توقدون ، إنها لأشد سواداً من القار ، قال الشوكاني في فتح القدير : والآية دلت على أنها مخلوقة إذ الأخبار عن إعدادها بلفظ الماضي دليل على وجودها وإلا لزم الكذب في خبر الله تعالى ، فازعمت المعزلة من أنها تخلق يوم الجزاء مردود . وتأويلهم بأنه يعبر عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع ومثله كثير في القرآن مدفوع بأنه خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بقرينة والأحاديث الصحيحة المتقدمة تدفعه . انتهى .

وقال تعالى : (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع وقد يستعمل مجازاً فيما يطول : دام أو لم يدم ، والمراد هنا الأول لما تشهد له الآيات والأحاديث :

• وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لو قيل لأهل النار إنكم ما تكونون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ما تكونون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن نجعل لهم الأبد . أخرجه الطبراني . وابن مردويه وأبو نعيم وقال ابن عباس يخبرهم أن الثواب بالخير والشرمقيم على أهله أبداً لا انقطاع له .

• وقال تعالى : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) أي قدرأ مقدراً . يحصرها العدد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب قاله اليهود ، وفي سبب نزولها في الحديث قال رسول الله ﷺ : كذبتهم بل أنتم خالدون مخلدون . فيها ، قال عكرمة وهذه الآية في مواضع من القرآن .

• وقال تعالى : (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق نار ، وقال أبو مالك : الجحيم ما عظم من النار ، وقاله تعالى : (ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) أي . سأرزقه في الدنيا مدة حياته ثم ألزه لز المضطر إلى عذابها .

وقال تعالى (وما هم بخارجين من النار) فيه دليل على بخلود الكفار في النار وظاهر هذا التركيب يفيد الاختصاص وجعله الزمخشري للتقوية لغرض له يرجع إلى المذهب والبحث في هذا يطول ، وعن ثابت بن معبد قال بازال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت هذه الآية .

وقال تعالى (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) ذكر البطون دلالة وتأكيذاً على أن هذا الأكل حقيقة ، وقال تعالى (فما أصبرهم على النار) معناه التعجب والمراد تعجب الخلق من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم .

وقال تعالى (وقنا عذاب النار) وقال تعالى (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أى كافية معاقبة وجزاء وسميت مهاداً لأنها مستقر الكفار ، وقيل لأنها بدل لهم من مهاد والمهاد الفراش ، قال مجاهد بثما مهدوا لأنفسهم ، وقال ابن عباس بثس المنزل وهذا من باب التهكم والاستهزاء .

وقال تعالى (أولئك يدعون إلى النار) أى إلى الأعمال الموجبة للنار فكان في مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى (أولئك هم وقود النار) أى حطب جهنم الذى تسعر به ، وقال تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) الجملة مستأنفة تهويلاً وتفظيلاً أى بثس ما مهد لهم فيها ، وقال تعالى (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وشفا كل شيء حرفه أى كنتم على طرفها من مات منكم وقع في النار فبعث الله محمداً ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة .

وقال تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) قال بعضهم إن هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعبدة للكافرين.

إن لم يتقوه ويحذروا محارمه ، وقال تعالى (مأواهم النار وبئس مئوى الظالمين)
 أى مسكنهم الذين يستقرون فيه وكلمة (بئس) تستعمل فى جميع المدام ، وفى
 جعلها مأواهم بعد جعلها مأواهم رمز إلى خلودهم فإن المئوى مكان الإقامة
 المنبثقة عن المكث ، والمأوى المكان الذى يأوى إليه الإنسان ، وقدم المأوى
 على المئوى لأنه على الترتيب الوجودى يأوى ثم يئوى .

وقال تعالى (ومأواه جهنم وبئس المصير) أى المرجع يعنى الغال
 والمتخلف عن رسول الله ﷺ ، وقال تعالى (ذوقوا عذاب الحريق)
 والحريق اسم النار الملهبة وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه مبالغة
 بليغة ، وقال تعالى (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الزحزحة
 التنحية والإبعاد ، وقال تعالى (سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من
 تدخل النار فقد أخذته وما للظالمين من أنصار) قال المفضل أخزيت أهلكته
 وقيل فضحته وأبعدته ، قال سعيد بن المسيب : هذه الآية خاصة بمن لا يخرج
 منها .

وقال تعالى (إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) المراد بأكلها ما يكون سبباً
 للنار ، تعبير بالمسبب عن السبب ، قيل بطونهم أوعية النار وهذا على الحقيقة
 كما تقدم .

وقيل بالحجاز والأول أولى ، وقال تعالى (سيصلون سعيراً) أى بأكلهم
 أموال اليتامى والصلا هو التسخن بقرب النار أو بمباشرتها ، والسعير الجمر
 المشتعل وقبل النار الموقدة ، وقال تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد
 حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) أى وله بعد إدخاله النار
 عذاب ذو إهانة لا يعرف كنهه ! ولادليل فى الآية للمعتزلة على أن العصاة
 والفساق من أهل الإيمان يخلدون فى النار ، قال تعالى (فسوف نصليه ناراً)
 أى عظيمة يحترق فيها .

وقال تعالى (وكنى بجهنم سعيراً) أى ناراً مسعرة لمن لا يؤمن .

وقال تعالى (سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرهما لينتوقوا العذاب) أى آتيناهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخر غير محترق . فإن ذلك أبلغ فى العذاب للشخص لأن إحساسه لعمل النار فى الجلد الذى لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها فى الجلد المحترق ، قال معاذ تبدل فى ساء مائة مرة .

وعن ابن مسعود أن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وقال الحسن تأكلهم النار فى كل يوم سبعين ألف مرة ، وقال تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) وليس وراء هذا التشديد تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد وعيد .

وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

وقد استدلل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على حجة الإجماع ولا حجة فى ذلك كما قرره الشوكانى فى كتبه وقررته أنا فى فتح البيان ، وقال تعالى (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً) أى معدلاً وقيل ملجأً ومخلصاً وعيلاً ومهرباً ، والمحيص اسم مكان وقيل مصدر .

وقال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) أى مكاناً يصبرون إليه ، والآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب بأى سبب كان وعلم أنه يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه الهجرة ، وفى الباب أحاديث ذكرناها فى خاتمة كتاب «العبرة بما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة» فراجع .

وقال تعالى (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) أى كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء ، وقال تعالى (إن المنافقين فى الدرك

الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً) أى فى الطبقة الذى فى قعر جهنم ، والدرك الطبقة ، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض ، وسميت طبقاتها دركات لأنها متدركة متتابعة .

فالمنافق فى الدرك الأسفل منها وهى الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله ، وأعلى الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وسيأتى تفصيل لذلك ، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة العليا ، أعاذنا الله منها وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم .

ولئما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه آمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى الآخرة تعديلاً ، ولأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ، قال ابن مسعود الدرك الأسفل توابيت من حديد مقفلة عليهم وفى لفظ مبهم عليهم أى مقلقة لا يهتدي لمكان فتحها . وعن أبى هريرة نحوه .

وقال تعالى (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً) والمعنى يدخلهم جهنم لكونهم افترقوا ما يوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرط شقاؤهم وجحدوا الواضح وعاندوا البين .

وقال تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملابسوها ، والجملة مستأنفة أتى بها اسمية دالة على الثبوت والاستقرار ، وهذه الآية نص قاطع فى أن الخلود ليس إلا للكفار ، لأن المصاحبة تقتضى الملازمة .

وقال تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) أى من الملائمين لها ، قال تعالى (يريدون أن يخرجوا

من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) أى دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً .

وقد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرواية بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار ، فمن أنكر هذا فليس بأهل المناظرة لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة .

وقال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) أى مصيره إليها فى الآخرة .

وقال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار) أى حبسوا عليها وقيل دخلوها وقيل بقربها معانين لها ، والتقدير لرأيت منظراً هائلاً وحالاً فظيعاً وأمرأ عجيباً .

وقال تعالى (الذين أفسدوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) والحميم الماء الحار البالغ نهاية الحرارة ، ومثل قوله تعالى (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم .

وقال تعالى (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وفى هذا من التهديد مالا يقادر قدره ، وقال تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) جمع غاشية أى نيران تحيط بهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم كالأغطية ، قال ابن عباس الغواش اللحف ، وبه قال القرطبي والضحاك والسدى .

وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) أى جعلهم سبحانه للنار بعدله ويعمل أهلها يعملون ، وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إن الله لما ذرأ لجهنم من ذرأ كان ولد الزنى ممن ذرأ لجهنم. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن النجار (٥٠).

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار خلقهم لها وهم فى صلاب آبائهم أخرجه مسلم .

وقال تعالى (إن للكافرين عذاب النار) إشارة إلى العقاب الآجل الذى أعدّه الله لهم فى الآخرة ، وقال تعالى (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) أى يساقون إليها لا إلى غيرها والمراد المستمرون على الكفر .

وقال تعالى (فيجعلله) أى الفريق الخبيث فى جهنم (أولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران .

وقال تعالى (ذوقوا عذاب الحريق) أى المحرق والدوق قد يكون محسوساً وقد يوضع موضع الابتلاء والاختيار .

وقال تعالى (أولئك حببطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) وفى هذه الجملة الاسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيد لمضمونها . وقال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

والبشارة بالعذاب من باب التهكم بهم وأن النار توقد على ما ذكر من الأعضاء وهى ذات حى وحر شديد ، وقال تعالى (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)

أى مشتملة عليهم من جميع الجوانب لا ينجون عنها مخلصاً ولا يتمكثون من الخروج منها بحال من الأحوال ، وهذا وعيد لهم على ما فعلوا ، وقال تعالى (ألم يعلم أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الجزى العظيم) أى يخالفهما وأصل المحاددة وقوع هذا فى حدود ذلك فى حد ، وقال تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) أى نوع آخر من العذاب غير النار دائم لا ينفك عنهم كالزهرير والمعنى يصلونها مقيمين فيها مقدرين الخلود والنار كافيهم جزاء وعقاباً لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها .

وقال تعالى (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) أى حراً كثيراً فى زمن كبير بل غير متناه أبداً الآبدى ودهر الداهرين ، وقال تعالى (وما أوهم جهنم بما كانوا يكسبون) والمأوى كل مكان يأوى إليه ليلاً أو نهاراً .

وقال تعالى (أفئن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم) والشفا الشفير يقال أشفا على كذا إذا دنا منه وقرب أن يقع فيه والجرف ما ينجر بالسيول وهى الجوانب التى تنحفر بالماء ، وقيل المكان الذى أكل الماء تحته فهو إلى السقوط قريب ، وقيل البئر التى لم تطو ، وقيل هو الهوة ، والاجتراف اقتلاع الشيء من أصله والهار الساقط .

قال ابن عباس أى صيرهم نفاقهم إلى النار وجاء بالانهار الذى هو الجرف ترشيعاً للمجاز ، فسبحان الله ما أبلغ هذا الكلام وأقوى تراكيبه وأوقع معناه وأفصح مبناه ، وقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فيه النهى عن الاستغفار للمشرىكين الذين هم أهل النار .

وقال تعالى (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) وهو الماء الحار الذى قد انتهى حره وكل مسخن عند العرب فهو حميم ، وقال تعالى (أولئك الذين

ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴿
الآية خاصة بالكفار ، وقال تعالى (ومن يكفر به) أى بالنبي أو القرآن
(من الأحزاب فالنار موعده) أى من أهل النار لا محالة وفى جعل النار موعداً
إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفس
محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ليهودى ولا نصرانى ومات .
ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » أخرجه البغوى بسنده .
قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت .
مصداقه فى كتاب الله حتى بلغنى هذا الحديث فقلت أين هذا فى كتاب الله ؟
حتى أتيت على هذه الآية .

وقال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وفيه أن الظلمة
أهل النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مسها ، وهذا فيمن ركن إلى من
ظلم فكيف بالظالم نفسه ؟ وقال تعالى (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من
الجنة والناس أجمعين) أى ممن يستحقها من الطائفتين .

وقال تعالى (أولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل فى العنق وتشد به اليد
إلى العنق أى يغلون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلاً بالغل ، وقال تعالى
(وعقبي الكافرين النار) أى ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك .

وقال تعالى (من ورائه جهنم) أى من بعده وقيل من أمامه (ويسقى
من ماء صديد) أى ما يسيل من الجلود واللحوم ، وهو دم مختلط بقيح .
يسيل من جلد الكافر ولحمه . وقال مجاهد هو القيح والدم ، وقال القرطبي
هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى .
يبتلعه .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) ، وقال (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً) أخرجه أحمد والترمذي واستغربه والنسائي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

(ويأتيه الموت من كل مكان) أى من كل جهة من الجهات الست أو من كل موضع من مواضع بدنه ، والمراد بالموت البلاء الذى يصيب الكافر فى النار سماه موتاً لشدة (وما هو بميت) حقيقة فيستريح وقيل تعلق نفسه فى حنجرتة فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ، ومثله قوله (لا يموت فيها ولا يحيا) وقيل ما هو بميت لتطاول شدة الموت به وامتداد سكراته عليه (ومن ورائه عذاب غليظ) أى شديد يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، قيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الأنفاس .

وقال تعالى (الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) أى قرارهم فيها ، أو بئس المقر جهنم ، والبوار الهلاك ، وقال تعالى (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) أى مقدمون إلى النار ، وقيل متركون منسيون فيها ، وقيل معجلون إليها ، وقيل مسرفون فى الذنوب ، وقرئ بكسر الراء أى مضيعون أمر الله .

وقال تعالى (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أى سجنًا ومحبسًا لا يخلصون عنها أبداً ، وقيل فراشاً ومهاداً ، وقال تعالى (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) أى ملوماً من الخلق مطروداً من رحمة الله مبتعداً عنها ، وقال تعالى (ولا نجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) . ومعناه ما تقدم آنفاً ، وقال تعالى (فن تبك منهم فإن جهنم جزاء كم جزاء موفوراً) أى وافراً مكلاً ، وقيل موفراً بإضمار تجازون :

وقال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) أى أظهرناها حتى شاهدوها يوم جمعنا لهم ، وفى ذلك وعيد للكفار عظيم لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفرع والروعة ، وقال تعالى (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) يتمتعون به عند ورودهم ، والنزل المأوى والمنزل ، والمعنى أن جهنم معدة لهم كما يعد المنزل للضيف .

وقال تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) أى جائين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب ، وقيل جثياً أى جماعات ، وقال ابن عباس قعوداً . وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها) أى النار (كان على ربك حتماً مقضياً) أى أمراً محتوماً لازماً قد قضى سبحانه أنه لابد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه .

وقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهى معروفة ، وقال تعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) أى مشاة عطاشاً ، قيل يساقون إلى النار يلهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء ، وقال تعالى (إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا) وهذا تحقيق لكون عذابه أبى وقال تعالى (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أى الواضعين الإلهية والعبادة فى غير موضعها .

وقال تعالى (لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) أى لا يقدرّون على دفعها من جانب من جوانبهم ، وقال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) أى وقود النار وحطبها . وكل ما أوقدت به النار أو هيئتها فهو حصب قاله الجوهري ، وقال أبو عبيدة : كل ما قلذفته فى النار فقد حصبتها به ، وقال تعالى (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى عذاب النار المحرقة ، وقال تعالى (أولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة :

وقال تعالى (أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير) أى الموضع الذى يصيرون إليه ، وقال تعالى (فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) أى تحرقها ، والكالح الذى قد شمّرت شفتاه وبدت أسنانه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى الآية قال : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرتة ، أخرجه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال تعالى (وماؤاهم النار ولبئس المصير) أى المرجع .

وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وهى النار المشتعلة ، والنار موجودة اليوم لهذه الآية ، وقال تعالى (فكبت وجوههم فى النار) أى طرحوا عليها ، وقال تعالى (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى مكان يستقرون فيه ، والاستفهام للتقرير ، وهذه فى مواضع القرآن .

قال تعالى (ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أى النار المستعرة وقال تعالى (وأما الذين فسقوا فآؤاهم النار) أى منزلهم الذى يصيرون إليه ؛ وقال تعالى (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً) أى بلا انقطاع ، وهذا تأكيد لما استفيد من (خالدين) .

وقال تعالى (ومن يذغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) . قال أكبر المفسرين وذلك فى الآخرة . وقال تعالى : (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) أى الدنيا . وقال تعالى (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أى من أعلى النار ، وقال تعالى (الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور) . وقال تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون) أى بها فى الدنيا على ألسنة الرسل ، وقال تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى عرفوا هؤلاء

المحشورين طريق النار وسوقوهم إليها ، وقال تعالى (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أى فى وسطها .

وقال تعالى (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) أى بعد شرب الحميم وأكل الزقوم . وقال تعالى (ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم)^(٥١) . أى النار شديدة الانتقاد ، وقال تعالى (إلا من هو صال الجحيم) أى من أهل النار ، والصلى الدخول ، وقال تعالى (وإن للطاغين لشر مآب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد) أى الفراش ، وقال تعالى (لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) أى من ذرية آدم ، وقال تعالى (قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) أى مصيرك إليها عن قريب وإنك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام ، وهو تعليل لقلة التمتع ، وفيه من التهديد أمر عظيم .

وقال تعالى (أفأنت تنقل من فى النار) أى حقت عليه كلمة العذاب .

وقال تعالى (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) يعنى مقراً ومقاماً ، والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما فى الحديث الصحيح .

وقال تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى لأجل أنهم مستحقون للنار ، وقال تعالى (وقهم عذاب الجحيم) أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية ، وقال تعالى (إن المسرفين هم أصحاب النار) أى المستكثرين من معاصى الله ، وقيل السفاكون للدماء بغير حقها ، وقيل الجبارون المتكبرون ، وقال تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى ذليلين صاغرين ، وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله ، وقال تعالى (ثم فى النار يسجرون) أى توقد بهم النار أو تملأ .

٣٣٠

(٥١) المراد به نار الدنيا ، وهو جزء من نار الآخرة . هـ . من الأصل .

وقال تعالى (ادخلوا أبواب جهنم فبئس مثوى المتكبرين) وتقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد) أى دار الإقامة التى لا انقطاع لها ولا انتقال عنها . وقال تعالى (أفمن يلقى فى النار خيراً أم من أتى آمناً يوم القيامة) الاستفهام للتقرير ، والغرض منه التنبيه على أن الملاحدين فى الآيات يلقون فى النار . وقال تعالى (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) أى أهل الإجرام الكفرية . وقال تعالى (أعد لهم جهنم وساءت مصيراً) وقد تقدم نحو هذه الآية .

وقال تعالى (فلما أعتدنا للكافرين سعيراً) أى النار الشديدة الحر .

وقال تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) الدع الدفع بعنف وجفوة ، قال مقاتل تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم ، وقال تعالى (مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) أى أن أولى بكم وقيل هى ناصركم على طريقة قول الشاعر :
نحية بينهم ضرب وجمع .

وقال تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) تقدم نحو هذه الآية ، وقال تعالى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) أى وإن نجوا من عذاب الدنيا ، وقال تعالى (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدین فيها) وقال تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) .

وقال تعالى (أغرقوا فأدخلوا ناراً) وهى نار الآخرة ، وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضى لتحقيق وقوعه ، ومثله قوله (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) قال تعالى (وأما الفاسقون فكانوا لجهنم حطباً) فيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) وقال تعالى (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى ظهرت النار المحرقة إظهاراً بيناً مكشوفاً

لا يفتنى على أحد قال مقاتل كشف عنها الغطاء فينظر إليه الخلق والظاهر أنها
تبرز لكل راء :

وقال تعالى (وإذا الجحيم سعرت) أى أججت وأوقدت لأعداء الله
إيقاداً شديداً أو زيد في إحماها .

وقال تعالى (إن الفجار لى جحيم) أى نار (يصلونها يوم الدين وما هم
عنها بغائبين) وقال تعالى (إن كتاب الفجار لى سجين وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين) وفى تفسير (سجين) أقوال ذكرناها فى
تفسير فتح البيان وأولاهما ما فسر به سبحانه فى هذه الآية .

وقال تعالى (ويتجنّبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى) أى العظيمة
القطيعة لأنها أشد حراً من غيرها وهى نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا
وقال الزجاج هى السفلى من أطباق النار وقيل إن فى الآخرة نيراناً ودركات
متفاضلة فكما أن الكافر أشقى العصاة فكذا يصلى أعظم النيران .

وقال تعالى (وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)
قال الواحدى قال المفسرون جىء بها يوم القيامة مزومة بسبعين ألف زمام مع
كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى
ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جئى لركبتيه يقول يا رب نفسى نفسى :

قلت وهذا الذى نقله قد أنى مرفوعاً عن رسول الله ﷺ كما تقدم فى
الباب .

وقال تعالى (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة الأبواب :

وقال تعالى (سندعوا الزبانية) أى الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة

٦٣

جهنم قاله الزجاج وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب ، وقال تعالى (نار
حامية) أى قد انتهى حرها وبلغ في الشدة إلى الغاية .

وقال تعالى (لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين) أى الرؤية التى هى .
نفس اليقين .

* * *

(باب)

في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها

قال تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) المراد بالسيئة هنا الجنس ، ولا بد أن يكون سببها محيطاً به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة ، وسدت عليها مسالك النجاة ، والخلود في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج^(١) لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار ، قال الحسن كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة ۝

وقال تعالى (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أى عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنها شنيعة ، ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها ، وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له ﷺ ، وعن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فنزلت هذه الآية . أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الإسناد ثم رواه عن داود بن عاصم مرفوعاً وقال هو معضل الإسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذي قبله .

قلت : وأخبار إسلام أبوي النبي ﷺ أضعف من ذلك .

وقال تعالى (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله

(١) أكد رأى المعتزلة في عصرنا : الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير المنار وأكدها في كتابنا : « الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام » نشر النهضة العربية . سنة ١٩٧٨ م

والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) واستدل به على جواز لعن الكفار على العموم ، قال القرطبي ولا خلاف في ذلك ، قال ابن العربي إن لعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق ، وقال تعالى (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وقال تعالى (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار) . وقال تعالى (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فلدوخوا العذاب بما كنتم تكفرون) قيل هم أهل الكتاب وقيل المرتدون وقيل المبتدعون وقيل الكافرون فيلقون في النار ، وقيل هم المنافقون .

وقال تعالى (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) . فيه أنه يكفر من استحل الربا وهذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويحذروا محارمه ، وقال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تتأجج أفواههم نارا . فقيل يا رسول الله من هم ؟ قال ألم تر أن الله يقول الآية . أخرجه بن أبي شيبه وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم .

وعن أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي ﷺ عن ليلة أسرى به قال نظرت فإذا يقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم خضراً من نار فيقذف في أحدهم حتى يخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، الآية . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) والآية في قسمة المواريث فإذا لم يرص فيها لقسمة الله وتعدى حده كفر إذا لم يتب .

وقال تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) أى كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلد محترق جلوداً آخراً غير محترق ، فإن ذلك أبلغ في العذاب للشخص ، وقيل المراد بالجلود السراويل ، ولا موجب لترك المعنى الحقيقى هنا قال ابن عمر يبدلون جلوداً يبيضاء مثال القراطيس وتقدم هذه الآية في الباب السابق .

وقال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) إلى قوله (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة فقالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) .

وقال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أنخرأهم لأولادهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) قال السدى يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرة الأولى ولكل طائفة منهم ضعف من العذاب : أما القادة فيكفرهم وتضليلهم ، وأما الأتباع فيكفرهم وتضليلهم ، قاله الكرخى .

وقال تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون)

وهذه المناداة لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبكيهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ لما وقف على قلب بدر تلا هذه الآية أخرج ابن أبي شيبه وأبو الشيخ وابن مردويه .

وقال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يمحذون) .

قال ابن عباس بنادى الرجل أخاه فيقول يا أخي أعثنى فأني قد احترقت فأفرض على من الماء فيقال أجبه فيقول (إن الله حرمهما على الكافرين) ومعنى ننسأهم تركهم في النار ، وقال مجاهد نؤخرهم جوعاً عطاشاً وقيل نفعل بهم فعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار تركاً كلياً . قال ابن عباس نسأهم من الخير ولم ينسأهم من الشر ، وسمى جزاء نسيانهم بالنسيان مجازاً لأن الله لا ينسى شيئاً .

وقال تعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الحريق) أى جهة الأمام وجهة الخلف يعنى أسأهم ، كنى عنها بالأدبار ، وقيل ظهورهم بمقامع من حديد وهذا نص في أن ملائكة الموت عند قبضها لروح الكافر تضربه بما ذكر وتقول له ما ذكر ، وإن كنا محجوبين عن رؤية ذلك وسماعه ، واختلفوا في وقت هذا الضرب ، فقيل يكون عند الموت تضربهم بسياط من نار ، وقيل هو يوم القيامة حين يسبرون بهم إلى النار .

وقال ابن جريج : يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر .

وقال تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى النار توقد

عليها وهي ذات حمى وحر شديد ، وخص الثلاثة لأن التألم بكبها أشد لما في داخلها من الأعضاء الشريفة ، وقيل ليكون الكى في الجهات الأربع ، من قدام وخلف وعن يمين ويسار ، وقيل لأن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين ، والإنسان إنما يطلب المال للقوة والجمال ، وقيل غير ذلك مما لا يخلو عن تكلف وبعد .

وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ، ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) المراد بالسيئة إما الشرك أو المعاصي والرهق الغشيان . والدلة الخزي والهوان ، والقطع بفتح الطاء جمع قطعة أى طائفة من الليل ، فقيل ظلمة آتجر الليل وقال الأنخس سواد الليل .

وإطلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر في السنة من خروج عصاة الموحدين . وقال تعالى (يقدم قومه) أى فرعون (يوم القيامة) أى يصير متقدماً سابقاً لهم إلى عذاب النار ، كما كان يتقدمهم في الدنيا (فأوردتهم النار وبئس الورد المورود) أى المدخل المدخول فيه وهو النار (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أى طرداً وإبعاداً من الاسم بعدهم يوم القيامة (بئس الرفد المرفود) أى العون المعان ، أو العطاء المعطى .

وقال تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال الزجاج : الزفير من شدة الأنين وهو المرتفع جداً .

قال وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحميم ، والشهيق آخره ، وقيل الزفير للحمار والشهيق للبغل ، وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف ، وقيل الزفير لإخراج النفس والشهيق ردها ، وقيل الزفير من الصدر والشهيق من الحلق . وقيل

الزفير ترديد النفس في الصدر من شدة الخوف حتى تنفخ منه الأضلاع ،
والشهيق النفس الطويل الممتد أو رد النفس إلى الصدر ، والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روجه .

وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد
من النفس ويخرجه ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس ، وهو قريب من قولهم
تنفس الصعداء .

واختلف أهل العلم في معنى هذا التوقيت والاستثناء اختلافاً شديداً ،
لأنه قد علم بالأدلة القطعية تأييد عذاب الكفار في النار وعدم انقطاعه عنهم ،
والكلام على ذلك بطول جداً ، فارجع إلى تفسيرنا فتح البيان فيه ما يشفي
ويكفي لفهم هذا المقام .

وقال تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من
قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع
الحساب) المراد بالمجرمين المشركون . ومعنى مقرنين مشدودين يجعل بعضهم
مقرونًا مع بعض أى بحسب مشاركتهم في العقائد ، أو قرونوا مع الشياطين
أوجعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم ، والمقرن من جمع في القرن ، وهو الحبل
الذي يربط به ، والأصفاد الأغلال والقيود ، قاله قتادة .

وقال ابن عباس الكبول، وعنه يقول في وثاق . وقال سعيد بن جبير
السلاسل والسرايل القمص ، قاله السدي ، وعن ابن زيد مثله واحدها سرايل
والمعنى قصصهم من قطران تطلّى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرايل ،
وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نين رائحته ووحشة لونه .

وقال جماعة هو النحاس المذاب، وبه قال عمر وابن عباس قال عكرمة :

هذا القطران يطلى به حتى يشتعل ناراً ، وقال سعيد بن جبير القطر : الصفر ،
والآن الحار ، وعن عكرمة نحوه .

والقطران فيه لغات ، وهو ما يستخرج من الشجر فيطبخ ويطلّى به الإبل
ليذهب جربها لحدته ، وقيل هو دهن ينحلب من شجر الأهل والععر
والثوت كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وعو الهناء ، ولو أراد الله المبالغة
في إحراقهم بغير ذلك لقدّر ، ولكنه حذرهم بما يعرفون .

وعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : النائمة إذا لم تنب
قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . أخرجه
مسلم وغيره .

ومعنى (تغشى) تعلق أى تضرب النار الوجوه وتخللها ، وقلوبهم أيضاً ،
وخص الوجوه لأنها أشرف ما في البدن ، وفيها الحواس المدركة أعاذنا الله منها .

وقال تعالى (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) لها سبعة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم (أى موعد الغاوين فهم يدخلون من أبوابها ، وإنما كانت سبعة
لكثرة أهلها ولكل باب من الأتباع الغواة نصيب وقدر معلوم متميز عن
غيره ، والجزء بغض الشيء ، والمراد به هنا الحزب والطائفة والفريق ،
وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق .

قال ابن جريج : النار سبع درجات ، وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة
للمنصارى والرابعة للصائبين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة
للمنافقين . فجعلهم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك .

والمعنى أن الله تعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء ، فيدخل كل جزء
وقسم حركة من النار ، والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك

اختلفت مراتبهم في النار ، قال الخطيب : تخصيص هذا العدد لأن أهلها سبع فرق ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها الأبواب السبعة . ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الأعضاء واحداً ، فجعلت أبواب الجنة ثمانية . ١ . هـ .

أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر بل الأولى تفويضها إلى جاعلها سبعة وهو الله سبحانه ، إلا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله ﷺ فيجب المصير إليه .

عن علي قال : أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض : فيملى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى يملأ كلها ، وعن بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل السيف على أمي أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي واستغريه . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ في الآية : جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله ، أخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه .

وقد وردت في صفة النار وأحوالها أحاديث وآثار كثيرة تأتي في محلها .

وقال تعالى (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يقال لهم ذلك عند الموت ، وقد تقدم ذكر الأبواب ، وأن جهنم درجات بعضها فوق بعض ، أي ليدخل كل صنف في الطبقة التي هو موعود بها ، وإنما قيل لهم ذلك لأنه أعظم في الخزي والغم ، وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض ، والمراد تكبرهم عن الإيمان والعبادة كما في قوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ، ذلك جزاءهم بأنهم كفروا بآياتنا) وهذا الحشر فيه الوجهان للمفسرين .

الأول : إنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم .

الثاني : إنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهاتته وتعذيبه . وهذا هو الصحيح لقوله سبحانه (يوم يسحبون في النار على وجوههم) .

ولما صح في السنة عن أنس رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف يمشون على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ؟ أما إنهم يبتغون بوجوههم كل حذب وصوب » أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه البيهقى والحذب : ما ارتفع الأرض .

وفى الباب أحاديث ، والأعمى الذى لا يبصر ، والأبكم الذى لا ينطق ، والأصم الذى لا يسمع ، أى هذه هيئة يبعثون عليها فى أقبح صورة وأشنع منظر ، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم مسحوبين على وجوههم . وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع فى قوله (ورأى المحرمون النار) وقوله (دعوا هنالك ثبورا) .

وقوله (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) فالمعنى هنا عمياً لا يبصرون ما يسرهم ، كما لا ينطقون بحجة ، صماً لا يسمعون ما يلد مسامعهم ، وقيل هذا حين يقال لهم اخشعوا فيها ولا تكلمون ، وقيل يحشرون على ما وصفهم ثم تعاد إليهم هذه الأشياء بعد ذلك ، ثم من وراء ذلك المكان الذين يأوون إليه كلما

سكن لهب النار بأن أكلت جلودهم ولحومهم زادهم الله تسعراً وهو التلهب والتوفد أى فتعود ملتبة ومتسعة فإنهم لهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء .

وقد قيل إن فى خبوء النار تخفيفاً لعذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله (لا يخفف عنهم العذاب) وأجيب بأن المراد بعدم التخفيف أنه لا يتخلل زمان محسوس بين الخبوء والتسعر ، وقيل لأنها تنجو من غير تخفيف عنهم من عذابهم ، وقيل ضعفت وهذأت من غير أن يوجد نقصان فى إيلامهم لأن الله تعالى لا يفتر عنهم ، وقيل معناه أرادت أن تنجو ، وقيل نضجت جلودهم واحترقت وأعيدوا إلى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم أعادنا الله تعالى عنها .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) . السرادق الذى يمد فوق الدار وكل بيت من كرسف أى قطن فهو سرادق ، فارسي معرب ، يقال بيت مسردق ، وقال ابن الأعرابي سرادقها سورها . وقال القتيبي : السرادق : الحجرة التى تكون حول القسطة .

والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيطهم من النار بالسرادق المحيط بمن فيه ، قال ابن عباس حائط من نار ، وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال سرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار منها مسيرة أربعين سنة ، أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وغيرهم .

وعن يعلى ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ إن البحر هو من جهنم ثم تلا (نارا أحاط بهم سرادقها) أخرجه أحمد مطولا ورجاله ثقات قاله فى مجمع الزوائد ورواه البخارى والحاكم وصححه .

وان يطلبوا الإنقاذ من شدة العطش يضربوا ويعذبوا بالحديد المذاب وهو المهل ، قال الزجاج أنهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصفير ، وقيل هو دردى الزيت أى ما بقى فى أسفل الإناء ووجه الشبه وجود الثخن والرداءة فى كل منهما ، وقال أبو عبيدة والأخفش العكر وكل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس ، وقيل هو ضرب من القطران .

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ، أخرجه أحمد والترمذى وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقى فى البعث وعن ابن عباس قال ماء غليظ كدردى الزيت ، وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهل فدعا بلذهب وفضة فأذابه فلما ذاب قال هذا أشبه شئ بالمهل الذى هو شراب أهل النار ولونه لون السماء غير أن شراهم أشد حرأ من هذا .

وعن ابن عمر هل تدرون ما المهل هو مهل الزيت يعنى آخره وأنه إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته ، والشئ الإنضاج بالنار من غير إحراق ، وقوله (مرتفعاً) أى متكأ ، وقيل مجلساً ومنزلاً ، وقيل مجتمعاً وبه قال مجاهد .

وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاماً وأتقنوا أنهم داخلون وواقعون فيها والمواقعة المخالطة بالوقوع فيها ، وقيل إن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظناً ولم يجدوا عنها معدلاً يعدلون إليه وانصرفاً لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب ، وقيل ملجأ يلجئون إليه ، والمعنى متقارب .

وقال تعالى (ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون

سمعاً ، أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً .

الصور القرن والنفخ فيه للبعث وهى النسخة الثانية ويكون جمع الخلائق بعد تلاشى أبدانهم ومصيرها تراباً ويكون جمعاً تاماً على أكمل صفة وأبداع هيئة وأعجب أسلوب فى صعيد واحد وفى عرض جهنم لهم وعيد عظيم لما يحصل معهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة والغطاء الغشاء والستر وهو ما غطى الشئ وستره من جميع الجوانب ، والمراد بالذكر الآيات وكانوا لا يقدرّون على الاستماع لما فيه الحق من كلام الله وكلام رسوله لغلبة الشقاوة عليهم ولشدة عدوانهم لها والحسيان الظن ، والنزل الذى يعد للضيف وفيه تهكم بهم كقوله (فبشرهم بعذاب أليم) .

قال ابن الاعرابى تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر نحسته ويوصف الرجل بأنه لا وزن له لخفته وسرعة طيشه وقلة تثبته . والمعنى أنهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله منزلة وقدر .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنه لياقنى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقرأوا إن شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) أخرجه البخارى ومسلم .

وقال تعالى (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ثم لنعلم بالدين هم أولى بها صلياً وإن منكم إلا واردةا كان على ربك حتماً مقضياً) . المعنى نسوقهم إلى المحشر بعد إخراجهم من قبورهم أحياء كما كانوا مع شياطينهم

الذين أغورهم وأضلوهم في سلسلة ثم نحضرهم حول النار من خارجها قبل دخولها أو من داخلها جائين على ركبهم لما يصيبهم من أهوال المواقف وروعة المحاسبة ثم تنزعن من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار ، قال الزمخشري الشيعة هي الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويًا من الغواة .

وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) انتهى .

يعني ينزع من كل طوائف الغي كالروافض والخوارج والنواصب والمقلدة لآراء الرجال والمتبعة للفلاسفة الضلال وغيرهم أعصاهم وأعتاهم ، فإذا اجتمعوا طرحهم في جهنم وهم أولى بصليها أو صليهم أولى بالنار ، وما من أحد مسلماً كان أو كافراً إلا وصاليها ودخلها ثم ينجي الله الذين اتقوا ويلذر الظالمين فيها جثياً ، وهذه أخوف آية .

وقال تعالى (ومن أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) أي إثماً عظيماً وعقوبة ثقيلة بسبب إعراضه (خالدين فيها وساء لهم يوم القيامة حملاً يوم ينفخ في الصور ويحشر المحرمين يومئذ زرقاً) المراد بالمحرمين المشركون والكافرون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم والزرقاة الخضر في العين كعين السور .

والعرب تشاءم بها لأن الروم كانوا أعدى عدوهم وهم زرق وهي أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، وقال الفراء زرقاً أي عمياً وقال الأزهري عطاشاً وهو قول الزجاج ، وقيل إنه كناية عن الطمع الكاذب إذا تعقبه الخيبة ، وقيل هو كناية عن شحوص البصر من شدة الحرص ، والقول الأول أولى . والجمع بين هذه الآية وبين الآية السابقة (عمياً وبكماً وصماً) ما قبل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها صفاتهم ويتنوع عندها عذابهم ، فيكونون في حال زرقاً ، وفي حال عمياً .

وقال تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وزدوها ، وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) وفي هذا تبكيت لعباد الأصنام وتوبيخ شديد لمن يتخذ من دون الله أرباباً ، والزفير هو صوت نفس المغموم والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والعويل ، ولا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول : قال ابن مسعود في الآية ، إذا بقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت آخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ، وقيل لا يسمعون شيئاً لأنهم يحشرون صمماً ، وإنما سلبوا السماع لأن فيه بعض تروح وتأنس ، وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون ما يسوءهم :

وقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ماني بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) أى قدرت لهم على قدر جشهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتقطيع ثياب لهم ، وجمع الثياب لأن النار لثراكها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض . وقيل إنها من نحاس قد أذيب فصار كالنار ، وهى السراويل المذكورة في آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير وزاد لبس من الآنية إذا حى أشد حرأ منه .

والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره ولا نرضى تأويله بما يخالف ظاهر لفظه ، وواضح معناه ، والحميم الماء الحار المخل بثار جهنم انتهت حرارته يذاب بهذا الحميم ماني بطونهم وتسيل به أمعاؤهم وتتناثر جلودهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه تلا هذه الآية ، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ماني جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » أخرجه الترمذى والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهم . وقال

ابن عباس يمشون وأمعأوهم تتساقط ، وعنه قال : يسقون ماء إذا دخل في بطونهم أذابها والجلود مع البطون ، والمقمعة المطرقة وقيل السوط ، وسميت بالمقامع لأنها تقمع المضروب ، أى تذلل .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض ، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان » أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه البيهقي .

وعن سلمان قال النار سوداء مظلمة لا يضيء لها فيها ولا جمرها ، ثم قرأ (كلما أرادوا) الآية ، والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا لأنهم يفضلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب المحرق الغليظ المنتشر العظيم الإهلاك البالغ نهاية الإحراق .

وقال تعالى (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) أى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو للتلاوة دون العمل ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله ويفوتوه ، وقيل معاندين أو مراغمين ومشاقين ، فهم أصحاب النار الموقدة .

وقال تعالى (اخسثوا فيها ولا تكلمون) أى اسكتوا في جهنم سكوت هوان ولا تكلمون رأساً ، أو في إخراجكم من النار أو في رفع العذاب عنكم . قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار وما بعد ذلك إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب .

وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أى إذا رأتهم وهى بعيدة عنهم ، قيل بينها وبينهم مسيرة مائة عام وقيل خمسمائة عام ، وذلك إذا أتى بهم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأنت على كل بار وفاجر ، فترى

تزر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدت ، ثم تزر الثانية فتقلع القلوب من أماكنها وتبلغ القلوب الحناجر وعن رجل من الصحابة قال : قال النبي ﷺ : « من يقل على ما لم أقل أو ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً » قيل يا رسول الله وهل لها من عينين ، قال « نعم أما سمعتم الله يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) ». أخرجه عبد بن حميد وابن جرير من طريق خالد بن دريك ونحوه عند رزين في كتابه وصححه بن العربي في قبسه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة .

قال : قال رسول الله ﷺ « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاث : كل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين » وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح والتغيط الغليان إذا غلا صدره من الغضب يعني أن لها صوتاً يدل على التغيط على الكفار أو لغليانها صوت يشبه صوت المغتاط ، وتقدم الكلام على زفير .

وقال تعالى (وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين . دعوا هنالك ثبورا ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً ادعوا ثبورا كثيراً) .

عن يحيى بن أسيد أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال « والذي نفسى بيده إنهم ليستكروهن في النار كما يستكروه الود في الحائط » وعن ابن عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح ، والثبور الهلاك والمراد بهذا الجواب عليهم : الدلالة على خلود عذابهم وإقناطهم عن حصول ما يبتغونه من الهلاك المنجى لهم مما هم فيه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول ما يكسى حلته من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده

وهو ينادى يا ثبوراہ ويقولون يا ثبور حتى يقف على الناس فيقول يا ثبوراہ ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعو اليوم ثبوراً واحداً وأدعوا ثبوراً كثيراً .

وقال تعالى (فكبكوا فيها) أى ألقوا في جهنم على رؤوسهم وقيل قلبوا على رؤوسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل جمعوا ، قاله ابن عباس ، وقيل طرحوا وقيل نكسوا (هم والغاؤون) أى المعبودون والعابدون (وجنود إبليس أجمعون) وقال تعالى (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، وإنما قضى عليهم بهذا لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى .

وقال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار) يعنى تقلبها تارة على جهة منها وتارة على جهة أخرى ظهراً لبطن ، أو تغير ألوانهم بلفح النار فتسود تارة وتختصر أخرى أو تبدل جلودهم بجلود أخرى ، ونخص الوجه لأنه أكرم موضع من الإنسان أو يكون الوجه عبارة عن الجملة .

وقال تعالى (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أى جعلت الأغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار .

وقال تعالى (وهم يصطرخون فيها) من الصراخ وهو الصياح ، أى وهم يستغيثون في النار رافعين أصواتهم ، والصارخ المستغيث ، وقال تعالى (هذه جهنم التى كنتم توعدون أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ، اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى توعدون بها في الدنيا على أسنة الرسل فادخلوها وقاسوا حرها .

قال المفسرون : إنهم ينكرون الشرك وتكذيب الرسل فيختم الله على أفواههم ختماً لا يقدرعون معه على الكلام ، وتكلم أيديهم بما كانوا يفعلونه ،

وتشهد أرجلهم عليهم بما كانوا يعملونه باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ، قال أتدرون مما ضحكتم ؟ قلنا لا يا رسول الله ، قال من مخاطبة العبد ربه ، يقول يارب ألم تجزني من الظلم ؟ فيقول بلى ، فيقول إني لا أجيز على إلا شاهداً مني ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، فيختم على فيه ويقال لأركانها انطقت فتنتطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وصيحاً . فعنكن كنت أناضل .

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : يلقى العبد ربه فيقول الله - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك رأساً وتربع ؟ فيقول : بلى أي رب ، فيقول أفظننت أنك ملاق ، فيقول لا ، فيقال إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصاقت ، ويثني بخير ما استطاع ، فيقول ألا نبعث شاهداً عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد على ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقت ، فتنتطق فخذه وفه وعظامه بعمله ما كان ، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه .

قال تعالى (قل أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ؟ إنا جعلناها فتنه للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لا يكلون منها فالثون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) .

قال الواحدى : الزقوم شئ مر كرهه يكره أهل النار على تناوله فهم يتزقونه فهي على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراحتها وننتها . قال قطرب : إنها شجرة مرة كريهة الرائحة تكون بتهامة من أخبث الشجر . وقال غيره : بل هو كل نبات قاتل ، وقيل شجرة مسهومة متى مست جسد أحد تورم فمات جعلها الله محنة لهم لكونهم يعذبون بها ، والمراد بالظالمين هنا الكفار أو أهل المعاصي الموجبة للنار ، وهذه الشجرة تنبت في قعر النار ، وأسفلها وأغصانها ترفع إلى دركاتنا .

وعن ابن عباس قال : لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الأرض لأفسدت على الناس معاشهم ، وتمرها وما تحمله في تنأهى قبحه وهو له وشناعة منظره مثل رعوس الشياطين ، قال الزجاج والفراء : الشياطين حيات هائلة لها رعوس وأطراف وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسماً ، وقيل هو شجر خشن منن مر منكر الصورة يسمى ثمرة رعوس الشياطين ، والشوب الخلط والمزج ، والحميم الماء الحار ، وهذا كما قال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) وقيل إن الزقوم الحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها أعاذنا الله تعالى وإخواننا المؤمنين من هذا الطعام والشراب .

وقال تعالى (فليذوقوه حميم وغساق) تقدم تفسير الحميم مراراً ، والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد ، والغسق الانصباب وقيل هو ما قتل برده ، وقيل هو الزمهرير وقيل المتن وقيل هو عين في جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب وقال قتادة : هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تن لحوم الكفرة وجلودهم .

وقال القرطبي : هو عصارة أهل النار . وقال السدي هو الذي يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد ، وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذي انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم .

وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لو أن دلواً من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا . قال الترمذي لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد (قلت) ورشدين هذا فيه مقال معروف (وآخر من شكله أزواج) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر أو نوع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل أو مذوقات آخر وأنواع آخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم . ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه ونظائر ، قال المفسرون هو الزمهرير .

(هذا فوج مقتحم معكم) أى الأتباع داخلون معكم إلى النار بشدة ، والاقتحام الإلقاء فى الشيء بشدة . فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع ، وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها .

وفى المختار قحم فى الأمر رى بنفسه فيه من غير روية (لا مرحباً بهم) أى لا اتسعت منازلهم فى النار ، والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم ، وهذا إخبار من الله بانقطاع المودة بين الكفار وأن المودة التى كانت بينهم تصير عداوة (إنهم صالوا النار) أى كما صليناها (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم) أى قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء والقادة ، بل أنتم أحق بما قلتم لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) أى العذاب أو الصلى وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه ، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به (فبشس القرار) أى بشس المقر جهنم لنا ولكم (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) أى الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى (أتخذناهم سخرى) فى الدنيا فأخطأنا (أم زاغت عنهم الأبصار) فلم نعلم مكانهم

(إن ذلك) أى ما تقدم من حكاية حالهم (لحق) واقع ثابت فى الدار الآخرة لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) .

وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار من وتحتهم ظلل) أى أطباق من النار وفراش ومهاد وسرادقات وقطع كبار من النار تلهب عليهم ، وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهى محرقة ، والظلة تبنى من الحر وقال تعالى (ولو أن الذين ظلموا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وفى هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها ، قال سفيان الثورى : ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء . ويل لأهل الرياء ، هذه آياتهم وقصصهم .

وقال تعالى (وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أى لما أحاط بهم من العذاب ، ولما شهدوا من غضب الله ونقمته .

وقال تعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهى سبعة أبواب ، وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقنا كلمة العذاب على الكافرين) قيل أى لهم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) جهنم واللام فيه للجنس :

وقال تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) أى صباحاً ومساء ، وعرضهم عليها لإحراقهم بها .

عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله

إليه يوم القيامة» أخرجه الشيخان وغيرهما ، وزاد ابن مردويه ثم قرأ (النار) الآية .

واحتج بعض أهل العلم بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه. وقال القرظي إن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .
وذهب الجمهور إلى أن هذا العرض هو البرزخ .

وقال تعالى (قال الذين في النار) أى من الأمم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعاً (لخزنة جهنم) وهم القائمون بتعذيب أهل النار ، وإنما لم يقل لخزنتها ، لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً أو لبيان محلهم فيها ، فإن جهنم هي أبعد النار قعراً وفيها أعتى الكفار وأطغاهم ، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم أهل النار لطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا أو لم تلك تأيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى في ضياع وبطلان وخسارة وتبار وانعدام وفيه إقناط لهم عن الإجابة .

وقال تعالى (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم) قال ابن عباس : فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه ، حتى إن لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعاً ثم يكسى جلداً آخر (ثم في النار يسجرون) .

عن ابن عمرو قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية فقال : لو أن رصاصة مثل هذه — وأشار إلى جمجمة — أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها ، أو قال

قعرها . أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث والنشور .

وقال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجمعوا حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فى الدنيا من المعاصى ، وفى كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال :

أولها : أن الله يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه .

ثانيها : أنه تعالى يخلق فى تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعانى .

ثالثها : أن يظهر فى تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) أى إن يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم النار ، وتام الكلام على هذه الآية فى تفسيرنا « فتح البيان » .

وقال تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا لا. إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم .

ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يَحْتَمُّ له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار يَحْتَمُّ له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل . قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب * وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، وروى بن جرير طرفاً منه موقوفاً على ابن عمرو قال هذا الموقوف أشبه بالصواب ، قال الشوكانى بل المرفوع أشبه به فقد رفعه الثقة ورفعته زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقول الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا إليه كيف وهو أى لا يقرأ ؟ قال فعلمه رسول الله ﷺ فقال هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) ، فرغ ربكم من أعمال العباد . انتهى .

قلت : وأيضاً لا يقال مثل هذا من قبل الرأى .

وقال تعالى (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) أى آيسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس ، قال تعالى (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك) أى بالموت (قال إنكم ماكثون) أى مقيمون فى العذاب ، هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ، قال الخازن سكّت عن إجابتهم أربعين سنة انتهى ، والسنة ثلثمائة وستون يوماً

(*) إذا كان هذا صحيحاً فلم العمل ؟ ولماذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وجعل الجنة والنار ؟ هذا حديث ضعيف .

واليوم كألف سنة مما تعدون ، قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة ، وقيل مائة سنة ، وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة .

وقال تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم) تقدم تفسير مثل هذه الآية .

وقال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) الإثم أى لكل كذاب كثير مرتكب لما يوجبه ، وويل واد في جهنم أو كلمة عذاب .

وقال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون . في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) عرض الشخص على النار أشد في إهائته من عرض النار عليه إذ عرضه عليها يفيد أنه كالخطب المخلوق للاحتراق ، وقيل في الكلام قلب أن تعرض النار عليهم ، ومعنى يعرض يعذب ، والهون ما فيه ذل وخزى ، وما أخوف هذه الآية في شأن المترفين المتكبرين عن عبادة الله الخارجين عن طاعته بفعل السيئات والمعاصي والمستمتعين باللذات الفانية من المناكح والملابس والمراكب والمساكن النفيسة .

وقال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار ، وفي الاكتفاء بمجرد الإشارة من التحويل من المشار إليه والتفخيم لشأنه ما لا يخفى ، كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه .

وقال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) أى مصارينهم فخرجت .

من أدبارهم لفرط حرارته ، وقال تعالى (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً) وهذا لإخبار عن وقوع السوء بهم على ظنهم أن كلمة الكفر تعلق كلمة الإسلام .

وقال تعالى (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً آخر فآلقياه في العذاب الشديد ، قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ، قال لا تختصموا لى وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لى وما أنا بظلام للعبيد) الخطاب للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد على تنزيل ثنية الفاعل منزلة ثنية الفعل وتكريره ، والمعنى كفار للنعم بجانب للإيمان معاد لأهله ، ولا يبدل خيراً ولا يؤدى زكاة مفروضة أو كل حق وجب عليه فى ماله ، ظالم لا يقر بتوحيد الله شاك فى الحق ، وفيها نهى عن الاختصاص فى مواقف الحساب ونفى الظلم عن الله تعالى على العباد ، ولا مفهوم لقوله ظلام * .

وقال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) جعله الزمخشري ومن تبعه من باب المجاز وهو مردود لما ورد : تحاجت النار والجنة واشتكت إلى ربها . قال النسفي هذا على تحقيق القول من جهنم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال جهنم تلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم فى فضول الجنة » أخرجه الشيخان وهذا لفظ مسلم ، وأخرجنا من حديث أبى هريرة نحوه وفيه : « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله ويقول لها قط قط » وفى الباب أحاديث ، ومذهب

(*) على طريقة المشكلة . الله يقرب المعانى إلى عقول الناس حسبما يستطيعون الفهم .

جمهور السلف الإيمان بالقدم والرجل من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ، وإمرارها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه .

قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أى يحرقون ويعذبون فيها ، وأصل الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والإحراق ، وقال تعالى (إن المجرمين في ضلال وسعر اليوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أى في ذهاب عن الحق وبعد عنه ، وفي نار تسعر عليهم ، وسقر علم لجهنم غير منصرف ومسها مقاساة حرها وشدة عذابها .

وقال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام) المعنى أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار ، قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره ، وقيل تسحبهم الملائكة تارة إلى النار بأخذ النواصي وتارة تجرهم على الوجوه وتارة بأخذ أقدامهم ، وتارة تجرهم على رؤوسهم ، قال ابن عباس تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الخطب في التنوير .

وقال تعالى (يطوفون بينها) أى بين جهنم فتحرقهم (وبين حميم آن) أى فيصيب وجوههم فيحرقون ، والآن الذى قد انتهى حره وبلغ غايته وقيل هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فيغمسون فيه بأغلالهم حتى تنخلع أوصالهم ، قال قتادة يطوفون أى يترددون ويسعون مرة في الحميم ومرة في الحميم ومرة بين الحميم .

وقال تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من

(*) رأى السلف هو التنزيه وما ورد من القدم والرجل يحمل على المجاز أى أمر الله وإذا لم يكن هذا رأى السلف فهل اعتقلوا أن عينا الله مبنية في سفينة نوح وأن السفينة حرت بهما على الماء كما يقول « تجرى بأعيننا » ؟ .

يحموم لا بارد ولا كريم لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين (السوموم حر النار وتقدم تفسير الحميم مراراً واليحموم الشديد السواد ، والمعنى أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد. قال الضحاك النار سوداء وأهلها سود كل ما فيها أسود ، قال ابن عباس يحموم دخان أسود ، وفي لفظ دخان جهنم ، وقيل واد في جهنم وقيل اسم من أسمائها والأول أظهر .

والنعتان لقوله ظل . لا ليحموم وهذا الظل أشجى لخلقهم وأشد لتحسّرهم ، وفي الأمور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً وفيها ذم الترفه لأنه منعهم من الانزجار ، وشغلهم عن الاعتبار .

وقال تعالى (ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) وتقدم تفسير هذه الآية ، والهيم الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

وفي الصباح الهيام أشد العطش ، والنزل الرزق والغذاء وفي هذا تهكم بهم لأن النزل هو ما يعد للأضياف تكريمة لهم ، ومثل هذا قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) وقال تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا هو حق اليقين) أي محضة وخالصة ، والمعنى واضح .

وقال تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي في الفضل والرتبة (أصحاب الجنة هم الفائزون) أي الظافرون بكل مطلوب . الناجون من كل مكروه ، وهذا تنبيه للناس وإيدان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهم وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الدائم الأليم مع أصحاب النار ، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه .

وقال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا : وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير) .

المعنى : إذا طرحوا طرح الحطب في النار سمعوا لها صوتاً منكراً ، كصوت الحميم عند أول نهيقها وهي تغلي غليان المرجل بما فيه ، تكاد تنقطع من الغيظ على الكفار ، وكلما ألقى في جهنم جماعة منهم سألهم ملائكة النار عما ذكر في الآية .

وقال تعالى (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون) . قال المفسرون السلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ، والله أعلم بأى ذراع هي ، وقيل بذراع الملك ، قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد ما بينك وبين مكة ، وكان نوف في رحب الكوفة قال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يلدوب الرصاص ، وقال ابن جريج لا يعرف قدرها إلا الله ، وهذا العدد حقيقة أو مبالغة قال سفيان بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه .

وقال سويد بن أبي نجيح بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة ، والغسلين صديد أهل النار وما ينغسل من أبدانهم من القيح والصديد وقال أهل اللغة هو ما يجري من الجراح إذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن أنس هو شجر يأكله أهل النار ، وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم إلا الله تعالى .

وقال ابن عباس الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم ،

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لو أن دلواً من غسيلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا أخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس أيضاً الغسلين اسم طعام من أطعمة أهل النار .

والتوفيق بين ما هنا وبين قوله إلا من ضريع ، وقوله الزقوم وقوله ما يأكلون في بطونهم إلا النار ، إنه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو أن العذاب أنواع والمُعذِّبين طبقات . فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار ، لكل منهم جزء مقسوم .

وقال تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه) ، كلا إنها لظي نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ، وجمع فأوعى) . لظي علم لجنهم وهو التلهب ، وقيل هي الدركة الثانية من طباق جهنم ، والشوى الأطراف وجلدة الرأس ومكارم الوجه وحسنه .

قال قتادة تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئاً . وقال الكسائي هي المفاصل ، وقال أبو صالح هي أطراف اليدين والرجلين ، وقال ابن عباس تنزع أم الرأس ، وفي هذا ذم لمن أدبر عن الحق وأعرض عنه وجمع المال فأوعاه وكثره ولم ينفقه في سبيل الخير . ولم يؤد زكاته .

وقال تعالى (إن لدنيا أنكالا وججها وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً) جمع . نكل وهو القيد وقيل الغل من الحديد والأول أعرف في اللغة ، قال مقاتل هي أنواع العذاب الشديد وطعام لا يسوغ في الخلق بل ينشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قيل هو الزقوم ، وقيل الضريع وقيل شوك العوسج ، والغصة الشجى في الخلق .

وقال تعالى (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لراحة

البشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . السقر النار أو من أسمائها أو دركة منها ، لا تبقى لهم لحماً ولا تنر لهم عظماً ، أو لا تبقى من فيها حياً ولا تندر ميتاً ، تظهر لهم وتلوح حتى يروها عياناً كقوله (وبرزت الجحيم لمن يرى) وقيل لواحة مغيرة لهم ومسودة وهذا أرجح من الأول وإليه ذهب جمهور المفسرين وقيل معطشة .

وقال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه فيصير أسود من الليل وعنه محرقة والمراد بالبشر إما جلدة الإنسان الظاهرة كما قاله الأكثر أو المراد به أهل النار من الإنس كما قال الأخفش ، وعلى النار تسعة عشر من الملائكة خزنها أو من أصناف الملائكة أو من صفوفهم ، وقيل تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة والأول أولى .

قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها .

وقال تعالى (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) . والصحيح أن هذه الآية في الكفار ، قاله سليمان الجمل .

وقال تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) تقدم تفسير هذه الأمور الثلاثة ، وعن يعلى بن منية وهي أمه ، وأبوه أمية رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ينشئ الله سبحانه لأهل النار سوداء مظلمة فيقال يا أهل النار أى شيء تطلبون فيذكرون بها سبحانه الدنيا فيقولون ربنا الشراب فتمطرهم أغلالاً يزيد في أغلالهم وسلاسل في سلاسلهم ، وجمراً تلهب عليهم رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد وفيه من فيه ضعف قليل ومن لم أعرفه .

وقال تعالى (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من

اللهب لأنها ترى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ، ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتنون (أى يقول لهم خزنة جهنم انطلقوا إلى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب ، وهذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب شعباً وقيل المراد بالظل هنا السرادق وهو لسان من النار تحيط بهم ، وهو الظل من يحموم ، وقيل إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لأنها أوصاف النار وكل شررة منها كالقصر في عظمها ، ثم شبه الشرر باعتبار لونه بالجمال أو الجبال .

قال ابن مسعود ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون .

وقال تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً لابئين فيها أحقابا لا يلدقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً) أى جهنم موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها أو هي في نفسها متطلعة لما يأتي إليها من الكفار ، والأحقاب الدهور جمع حقب قال الواحدى قال المفسرون إنه بضع وثمانون سنة ، السنة ثلثمائة وستون يوماً ، اليوم ألف سنة من أيام الدنيا ، وروى مرفوعاً من حديث أبي هريرة عند الطبراني وغيره وسنده ضعيف قاله السيوطى ، وفي الباب أحاديث ذكرناها في فتح البيان .

والمقصود بالآية التأييد لا التقييد ، قال الحسن والله ما هي إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر كذلك إلى الأبد .

وقال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى) أى أنها منزله الذى ينزله لا غيرها .

وقال تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً ويصلى سعيراً) أى ينادى هلاكه ويدخل النار ويقاسى حرها وشدتها .

وقال تعالى (تصلى ناراً حامية) أى متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) التى انتهى حرها (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لحبشه يقال له الشبرق فى لسان قريش إذا كان رطباً ، فإذا يبس فهو الضريع ، قيل وهو سم قاتل وقيل هو الحجارة وقيل الشجرة فى نار جهنم ، وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويلدون وقيل هو الزقوم وقيل واد فى جهنم وقال الحسن هو بعض ما أخفاه الله من العذاب (لا يسمن ولا يغمى من جوع) أى كلاهما منفيان عنه .

وقال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) قال مجاهد وأبو العالية والحسن المعنى ثم رددنا الكافر وذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض فالكافر يرد إلى أسفل الدرجات السافلة ، ولا ينافى هذا قوله تعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين فى ذلك الدرك الأسفل .

وقال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وظاهر الآية العموم وقيل هم الذين عاصروا الرسول ﷺ والأول أولى ، وشر أفعل تفضيل ، وفى هذا تنبيه على أن وعيد علماء السوء أعظم من وعيد كل أحد .

وقال تعالى (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هية نار حامية) أى فسكنه جهنم وسماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه ، والهاوية من أسماء جهنم وسميت بها لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإذا كان مات ولم يأتهم قالوا خولف به إلى أمه الهاوية فبثت الأم وبثت المربية. أخرجه ابن

مردوبه وأخرج من حديث أبي أيوب الأنصاري نحوه أيضاً وابن المبارك من حديثه نحوه أيضاً .

وقال تعالى (ثم لترونها عين اليقين) وهى المشاهدة والمعاينة قيل هو إخبار عن دوام بقائهم فى النار أى هى رؤية دائمة متصلة وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم فى الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأحوالها .

وقال تعالى (كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة فى عمد ممددة) والمعنى ليطرحن فى النار وليلقين فيها وسميت حطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها وتهشمه ، قيل هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية وقيل الرابعة ، وهذه النار يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الأفئدة مع كونها تغش جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة ، أو لكونه إذا وصل إليها مات صاحبها أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، وقيل المعنى أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بأمارات عرفها الله بها وأنها عليهم مطبقة مغلقة وهم موثقون فى عمد ممددة .

قال مقاتل أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ، ومعنى ممددة مطولة ، وقيل العمد أغلال فى جهنم وقيل قيود .

وقال تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب) أى سيصلى هو بنفسه نارا ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم أجازنا الله منها برحمته وكرمه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وهذا آخر الآيات الكريمة الواردة فى أحوال جهنم وأحوال النار

وذكر أصحابها وبقيت آيات مكررة جاءت في ذلك ولا حاجة تدعوا إلى
إيرادها في هذا الكتاب المبني على الاختصار .

قال القرطبي في التذكرة «أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهوالها وأسمائها»
انتهى ثم ذكر ذلك في أبواب متفرقة وأتى بأحاديث وآثار وردت في هذه
الأبواب فيها أناذاأحذو حذوه في تحرير ذلك مع زيادة على ما ذكره وحذف
لما تكرر وتقدم في بابي الآيات مع الإشارة إليه لئلا يطول ذيل الكلام وبالله
الاعتصام .

* * *

(باب)

ما جاء في أن النار لما خلقت فزعت منها
الملائكة حتى طارت أفئدتها

عن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار فزعت الملائكة وطارت أفئدتها ، فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون ، أخرجه ابن المبارك ، وقال ميمون بن مهران لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة لم يبق في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه ، فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا رءوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقته جهنم لأهل معصيتي من خلقي فقالوا ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى (وهم من خشيته مشفقون) فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهي عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أنذرتمكم النار أنذرتمكم النار أنذرتمكم النار فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصه كانت عليه عند رجله ، رواه الدارمي .

وعن يزيد بن سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت أبا الوليد ما يبكيك قال هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيه جهنم ، رواه الطبراني قال في مجمع الزوائد ويزيد لم أعرفه وفيه ضعفاء قد وثقوا .

وعن عمر أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ حزينا لا يرفع رأسه فقال له رسول الله ﷺ مالي أراك يا جبريل حزينا قال إني رأيت لفحة من

جهنم فلم ترجع إلى روحى بعد ، رواه الطبراني في الأوسط وفيه على بن خلق وهو ضعيف .

وعن عمر بن الخطاب قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالى أراك متغير اللون ؟ فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا تضىء شررها ولا يطفى لهبها والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعاً من حره .

والذى بعثك بالحق لو أن خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ومن تن ريجيه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنهى إلى الأرض السفلى .

فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا يتصدع قلبى فأموت قال فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت فيه ؟ فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زال يبكيان حتى نودى أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل .

وخرج رسول الله ﷺ فر يقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبعيتكم

١٠١

كثيراً ولما استسغم الطعام والشراب ونلجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله ﷺ « سدّدوا وقاربوا » رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه ؟ كذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد .

(باب)

ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه إسرافيل فلما سلما على النبي ﷺ فإذا إسرافيل منكسر الطرف فقال النبي ﷺ يا جبريل مال إسرافيل منكسر الطرف متغير اللون قال لاحت له أنفا حين هبط لمح من جهنم فذلك الذي يرى كسر طرفه ، رواه بن وهب .

وعن محمد بن مطرف عن الثقة أن فتي من الأنصار دخلته خشية من النار فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت ، فلما دخل النبي ﷺ اعتنقه الفتي فخر ميتاً فقال النبي ﷺ جهزوا صاحبكم فإن الفرع من النار فلد كبدكم رواه ابن المبارك .

وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان وعليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة قلن فإن ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم إن من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شرباً ذكره الخرائطي في كتاب النشور .

وروى أن سلمان الفارسي لما سمع قوله عز وجل (إن جهنم لموعدهم أجمعين) فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل فجاء به إلى النبي ﷺ فسأله فقال له يارسول الله أنزلت هذه الآية (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى (إن المتقين في جنات وعيون) الآية . ذكره الثعلبي وغيره والله أعلم بأسانيدنا ولم يتكلم عليها القرطبي في التذكرة .

(باب)

ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار قالت النار اللهم أجره من النار. أخرجه الترمذي ، وعن أبي سعيد الخدري أو عن أبي حنيفة الأكبر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أحدهما حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر جهنم ، قال عز وجل لجهنم إن عبداً من عبادي استجار بي منك وإني أشهدك أني قد أجرته .

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم ، اللهم أجرني من زمهرير جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم إن عبداً من عبادي استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته. فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلقى فيه الكافر قد تميز من شدة برده بعضه من بعض ، رواه البيهقي .

قال القرطبي في التذكرة تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة عن النيران وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك ، وبكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » قلت الخريف السنة .

وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » وأخرج الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين المشرق والمغرب ، ويروى كما بين السماء والأرض ، هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة .

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة مائة عام ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعده من جهنم سبعين خريفاً . قلت يا أبا حمزة ما الخريف قال العام رواه أبو داود في كتابه ، وعن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل ، أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

(باب)

احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال تعالى لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ، رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

قال الحاكم أبو عيسى في علوم الحديث سئل محمد بن إسحاق ابن خزيمة عن هذا الحديث من الضعيف قال الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم والليلة عشرين مرة أو خمسين مرة ، قال القرطبي ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع والله أعلم . وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله ﷺ : اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين : ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذي عظمت في الله رغبته وذاك يصلح للدنيا وللدن

(باب)

في صفة النار وفي شرار الناس من هم

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له (٥٢) الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفي (٥٣) له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش. أخرجه مسلم بطوله. وعن حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ، وفي رواية زعيم متكبر ، أخرجه مسلم وابن ماجه ، والجواظ الفظ الغليظ ، وقيل الجاؤز القلب ، والعتل الشديد الخصومة وقيل هو الأكل الشروب الظلوم ، والزيم المستحل في قوم ليس هو منهم وقيل اللثيم .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل النار إلا شقي . قيل يا رسول الله ومن الشقي؟ قال من لم يعمل لله بطاعة ولم ينزل له عن معصية ، رواه ابن ماجه وعنده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ أهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : مر بجنائز فأتني عليها شر فقال النبي ﷺ من

(٥٢) أي لا عقل له يتفك به عن المماسد ، ويزجر عنها ، فحسبك به ضعفاً وخسارة في الدين ، قال أبو العباس شح الفرطى يعنى بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسمعون في مصلحة دينية ، ولا فضيلة نفسية ولا دينية ، بل يميلون أنفسهم لإهمال الأنعام .

(٥٣) أي لا يظهر ، وهو من الأضداد . ا . هـ . من الأصل .

أثنيت عليه شراً وجبت له النار^(٥٤) أنتم شهداء الله في الأرض ، رواه مسلم بطوله قالت عائشة النار دار البخلاء، وقال زيد بن أسلم هناك الله أن تكون لثيماً فتدخل النار ، وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يقبل عثرة ولا يقبل معزرة ولا يغفر ذنباً قال أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ، أخرجه الحافظ أبو نعيم من طريق محمد بن كعب القرظي بطوله قال : وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديثه عن ابن عباس .

(٥٤) معناه عند الفقهاء إذا أثبت عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لأن الفسقة قد يشنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث ، وكذلك لو كان القاتل فيه عدواً له وإن كان فاضلاً ، لأن شهادته في حياته له كانت غير مقبولة ، وكذلك الحكم في الآخرة قاله القرطبي .

(باب)

في صفة أهل النار

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل سفيه جعظري . رواه أحمد ، وفيه البراء بن عبد الله وهو ضعيف ، وعن ابن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وعن ابن غنم قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم ، رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ .

وعن علي بن رباح قال بلغني عن سراقه بن مالك أن النبي ﷺ قال ياسراقه ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟ قال بلى يا رسول الله ، قال أما أهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه رويًا لم يسم ، قاله في مجمع الزوائد ، وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بعث الله نبياً إلى قوم فقبضه إلا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير صدقة ابن سابق وهو ثقة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ صنفان من أمتي لم أرهما قوم معهم سياط من نار كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا . أخرجه مسلم ، قال الخليل : الصنف الطائفة من كل شيء والسوط اسم العذاب وإن لم يكن ثم ضرب ، قاله الفراء .

قال القرطبي وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن . انتهى
قلت : بل هو مشاهد في كل مكان وزمان ويزداد يوماً فيوماً عند
الأمراء والأعيان فنعوذ بالله من جميع ما كرهه الله .

والمعنى أنهم كاسيات بالثياب « عاريات من الدين لانكشافهن وإبداء
محاسنهن ، وقيل كاسيات ثياباً رقاقاً يظهر ماتحتها وما خلفها فهن كاسيات في
الظاهر عاريات في الحقيقة ، وقيل كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام
ومما لا يجوز لبسه ، ومائلات معناه زائغة عن طاعة الله وطاعة الأزواج وما يلزمهن
من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ، ومميلات معناه يعلمن غيرهن الدخول
في مثل فعلهن ، وقيل مائلات متبخرات في مشيتهن ، مميلات يعلمن رءوسهن
وأعطافهن للميلاء والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال إليهن بما يبدن من
زينتهن وطيب رائحتهن ، وقيل يمتشطن الميلاء وهي مشطة البغايا ، والمميلات
اللوأى يمتشطن غيرهن المشطة الميلاء يغطين رءوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن
رءوسهن شيئاً يسمى عندهن النازة ، لاعقص الشعر والدوائب المباح للنساء
على حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله إنى امرأة أشد
ضفر رأسى الحديث .

(باب)

أول من يكسى من حلال النار

عن أنس بن مالك « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه أو حاجبيه ويسحبها من بعده وذريته من بعده أو من خلفه وهو ينادى ياثوراه وينادون ياثورهم ؛ فيقال لهم لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ، رواه أحمد والبخاري . قال في مجمع الزوائد ورجلها رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق .

(باب)

ما جاء في أكثر أهل النار :

عن أسامة بن زيد قال ، قال رسول الله ﷺ : قمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء . أخرجه مسلم . ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس : ورأيت النار فلم أر منظرأ كالיום قط ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا بهم يا رسول الله ؟ قال بكفرنهن ، قيل أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط .

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : إن أقل ساكني الجنة النساء أى لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لتقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهما إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخر والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى . فأكثرهن معرضات عن الآخرة

بأنفسهن : صارفات : عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعينهن من المعرضين عن الدين . عسيرات الاستجابة لمن يدعوهم إلى الآخرة وأعمالها من المتقين .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء رواه الترمذى ورواه عن عمران بن حصين أيضاً ، وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وكلا الحديثين فيهما مقال .

وعن حارثة بن وهب الخزاعي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر ، أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . والعتل الشديد الجافى والجواظ الجموع المتنوع ، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيه . وقيل القصير البطين .

وعن عبد الرحمن بن شبل قال : قال رسول الله ﷺ : إن الفساق أهل النار ، قالوا يارسول ومن الفساق ؟ قال النساء . قال رجل يارسول الله : أو ليس أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا ؟ قال بلى ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن وإذا ابتلين لم يصبرن . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الخبرانى وهو ثقة .

وعن حكيم بن حزام قال : أمر رسول الله ﷺ النساء بالصدقة وحثن عليها وقال تصدقن فإنكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن لم ذلك يارسول الله ؟ قال لأنكن تكثرن اللعن وتسوفن الخير وتكفرن العشير . رواه الطبرانى في الأوسط ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : باب النار لا يدخله إلا من يشقى غيظه بسخط الله . رواه البزار من طريق قدامة بن محمد عن إسماعيل

ابن شيبه ، وهما ضعيفان ، وقد وثقا ، وبقيه رجاله رجال الصحيحين ، وعنه قال : يؤتى الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرق أنيابها مشوه خلقها فتشرف على الخلائق ، فيقال هل تعرفون هذه ؟ يقولون نعوذ بالله من معرفة هذه : فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادى : أى رب ابن أتباعى وأشياعى ، فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها .

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : إن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ، ولكن العرفاء في النار . أخرجه أبو داود . قال أهل العلم : العريف القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم .

ومعنى قوله « إن العرافة حق » يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم ، ألا تراه يقول : لابد للناس من عرفاء ؟

وقوله « في النار » معناه التحذير من الرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة والله أعلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ويل للأمرء وويل للأمناء وويل للعرفاء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثرى يتذبذبون بين السماء والأرض وإنهم يعملوا عملا (٥٥) أخرجه أبو داود والطيالسى .

وعن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة قاطع » رواه البخارى . قال سفيان : يعنى قاطع رحم وعن عقبه بن عامر قال :

(٥٥) أى من هذه الوظائف التى يكثر من أهلها الظلم . والحديث رواه أحمد وحسنه السيوطى .

٢١٣

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنة صاحب مكس . رواه أبو داود ، ومفهومهما أنهما يدخلان النار .

قال أهل العلم صاحب المكس هو الذى يعثر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم لإمروا به مكساً باسم العشر والزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء .

قال القرطبي : إن التبديل إذا كان فى الأعمال وليس هو فى العقائد فصاحبه فى المشينة إن عذب فإنه يخرج بالشفاعة ، وهكذا القول فى أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار والعنة ، فلم يتم يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال .

* * *

(باب)

ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أول ثلاثة يدخلون النار : أمير متسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حقه وفقير فجور ، أخرجه أبو بكر ابن أبي شيبة بطوله .

(باب)

بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول يا آدم ، فيقول لبيك وسعديك فيقول اخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول يارب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مائة تسعة وتسعين . قيل فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود . أخرجه البخارى .

وعنه قال . قال رسول الله ﷺ . إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصيني ؟ فيقول اليوم لأعصيك ، فيقول إبراهيم يارب ألم تعدنى أنك لا تخزنى يوم يبعثون ، فأى خزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال : يا إبراهيم ماتحت رجلحك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ، أخرجه البخارى ، والقترة غبرة معها سواد ، والذبيخ ذكر الضباع .

وفي الحديث دليل على أن الكافر في النار وإن كان أبا أحد من الرسل ، وقد تعصب قوم أولهم السيوطي في أن أبوى النبي ﷺ في الجنة ، واستدل لذلك بأخبار لا تصح ولا تثبت ، وتوقف قوم في ذلك ، وليس الخوض عندي في هذا الباب من شأن أهل العلم .

وقد ينجر هذا البحث إلى إساءة الأدب في حق من لا يجوز الإساءة فيه ، والله أعلم بحال أبويه ﷺ وما لهما يوم القيامة ، ولا يلحق عار ولا شئار له ﷺ بكونهما في النار كما لا يلحق لإبراهيم عليه السلام من كون أبيه فيها^(٥٦) ، نعم لو جاء رسول الله ﷺ في ذلك شيء وصح لوجب المصير إليه ولا يعبأ بأقوال الرجال وأباطيل الأخبار ومواضيع الآثار في أمثال هذه الأبحاث ، فلا يغتر المسلم بقول زيد وعمرو بل عليه أن يكون على بصيرة من دينه وعلى بلل من إيمانه وعلى سلامة من إسلامه ، ولا يخوض مع الخائضين ، فإن الجهل لمقاصد الشرع وضعف العقول وفقدان الفهم قد غلب على الناس أولهم إلى آخرهم إلا من عصمه الله تعالى وفقهه في الدين وقليل ما هم وقليل من عباده الشكور .

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ، وواحد إلى الجنة ، فبكى أصحابه وبكوا ثم قال لهم رسول الله ﷺ ارفعوا رءوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، فخفض ذلك عنهم ، رواه أحمد والطبراني قال في مجمع الزوائد وإسناده جيد .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل

(٥٦) . لشيخ الإسلام بن تيمية فتوى في أنهما في النار نشرناها كالحق لرسالة (أربعون حديثاً في اصطناع المعروف) .

يبعث منادياً ينادى يا آدم أن الله عز وجل يأمرك إن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار فيقول آدم يارب ومن كم ؟ قال فيقال له من كل مائة تسعة وتسعين فقال رجل من القوم : من هذا الناجي منا بعد هذا يارسول الله قال 'هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير ، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف .

وعن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) إلى آخر الآية قال هل تدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله عز وجل :

يا آدم قم فابعث بعثاً إلى النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ، وواحد إلى الجنة ؛ فشق ذلك على القوم فقال رسول الله ﷺ إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم قال رسول الله ﷺ اعملوا وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرتا ، بأجوج ومأجوج وإن أنتم في الناس أو قال في الأمم إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة ، إنما أمتي جزء من ألف جزء ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة .

وعن أنس قال نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم) إلى قوله (ولكن عذاب الله شديد) .

نزلت على النبي ﷺ في مسير له فرفع بها صوته حتى جاء إليه أصحابه فقال أتدرون أى يوم هذا . يوم يقول الله ﷻ لآدم قم فابعث بعثاً إلى النار من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين إلى النار ، وواحد إلى الجنة فشق ذلك على المسلمين

فقال النبي ﷺ سدوا وقاربوا وأبشروا ، فو الذى نفسى بيده ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقعة فى ذراع الدابة ، إن معكم لخليفتين ما كانتا فى شىء قط إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من كفره الجن والإنس رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدى وهو ثقة كذا فى مجمع الزوائد .

* * *

(باب)

ما جاء في أول من تسعرونهم جهنم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن أول ناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك قال كذبت ولكنك تعلمت العلم لي قال عالم ، وقرأت القرآن لي قال هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت ؟ قال ما تركت من سبيل يجب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت لي قال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . أخرجه مسلم والترمذي بمعناه وقال في آخره ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعرونهم النار يوم القيامة .

(باب)

ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي ؟

وإنما قلنا أدراك ولم نقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل « درك » ولما تعالى « درج » فيقال للجنة درج وللنار أدراك ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين ، والنار دركات سبعة أى طبقات ومنازل .

عن كعب الأحبار إن في النار لبثراً ما فتحت ، أبوابها بعد مغلقة ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيد بالله من شر ما في تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله مالا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهي الدرك الأسفل من النار ، رواه ابن وهب عن طريق ابن زيد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) قال توايبت من حديد مصمتة عليهم في أسفل النار أخرجه ابن المبارك ، وعن علي قال هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا هي مثل أبوابنا هذه . قال لا هي هكذا بعضها فوق بعض ، رواه إبراهيم بن هارون الغنوى ، قال أهل العلم : أعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ وهي التي تخلى من أهلها فيصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية .

قال القرطبي وقد يقال للدركات درجات لقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) ووقع في كتاب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح ، قال الضحاك في الدرك الأعلى الحمديون ، وفي الثاني النصارى ، وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابئون ، وفي الخامس المجوس ، وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون .

وقال معاذ بن جبل وذكر علماء السوء من إذا وعظ عنف ، وإذا وعظ أنف ، فذلك في أول درك من النار ومن العلماء من يأخذ علمه مأخذ السلطان فذلك في الدرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يحوز علمه فذلك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يتخير الكلام والعلم لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعاً فذلك في الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم فذلك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس سلوني فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً والله لا يحب المتكلفين ، فذلك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً فذلك في الدرك السابع من النار ، ذكره غير واحد من العلماء ، قال القرطبي مغلة لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفاً.

ثم من هذه الأسماء ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى وسموم ، فهذه أعلام وليست لباب دون باب فاعلم وفي التنزيل (وقنا عذاب السموم) يريد النار ، أجازنا الله منها بحاج محمد ﷺ وآله (٥٧).

(باب)

ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها
إلا يوم الجمعة

عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : إن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فإنها لا تفتح ولا تسعر ، أخرجه أبو نعيم وهذا غريب من حديثه ، ومكحول لم يكتبه إلا من حديث النعمان ، قال القرطبي ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله عز وجل أعلم .

(باب)

ما جاء أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم
جزء مقسوم

تقدم الكلام على ذلك في الباب الثاني من الآيات الكريمة

عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال أمة محمد ﷺ أخرجه الإمامان الحفاظ أبو عبد الله وأبو عيسى ، وقال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث مالك بن مغول رحمه الله ، قال القرطبي مالك أبو عبد الله البجلي الكوفي إمام ثقة خرج له البخاري ومسلم والأئمة .

وقال أبى بن كعب : لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية ، وعن عطاء الخراساني قال إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكربا وحرأ وأنتها ريحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم . رواه أبو نعيم الحافظ .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قول الله تعالى يعنى الآية المتقدمة جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء غفلوا عن الله آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله ، وجزء صبروا رغبهم بحظهم عن الله ؛ وجزء عتوا على الله ، ذكره الحلبي في كتاب منهاج الدين له وقال ، فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله هم الثنوية ، والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلهاً أو لا إله لهم ويشكون في شريعته أنها من عنده أم لا ، والغافلون هم الذين يمحذونه أصلاً ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم برسل الله وأمره ونهييه ، والشاقون هم القتالون أنبياء الله وسائر الداعين له المعلنون من ينصح لهم أو يلذهب غير مذهبهم ، والمصبرون رغبهم المنكرون للبعث والحساب والعاتون الذين لا يبالون بأن يكون ما منهم حقاً أو باطلاً فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستبدلون والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ إن كان الحديث ثابتاً .

* * *

(باب)

في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض
وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (لكل باب منهم جزء مقسوم)
قال من الكفارة والمنافقين والشياطين ، بين الباب والباب خمسمائة عام ،
فاللباب الأول يسمى جهنم لأنه ينتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل
لحومهم ، وهو أهون عذاباً من غيره ، والباب الثاني يقال له لظى نزاعة
للشوى ، ويقول آكلة للبدن والرجلين (يدعو من أدبر) عن التوحيد
(وتولى) عما جاء به محمد ﷺ ، والباب الثالث يقال له سقر وإنما سمي
سقر لأنه يأكل لحوم الرجال والنساء لا يبقى لهم لحماً على عظم ، والباب الرابع
يقال له الحطمة . قال تعالى (وما أدراك ما الحطمة) الآية تحطم العظام وتحرق
الأفئدة .

وقال تعالى (تطلع على الأفئدة) تأخذ النار من قدميه وتطلع فؤاده
وتحرق جلودهم وأيديهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفذ ، ثم يبكون الدماء
حتى تنفذ ، ثم يبكون القيح حتى إن السفن لو أرسلت تجري فيما خرج من
أعينهم لجرت ، والباب الخامس يقال له الجحيم وإنما سمي الجحيم لأنه عظيم .
والجمرة الواحدة منه أعظم من الدنيا .

والباب السادس يقال له السعير ، لأنه يسعر لم يسعر منذ خلق ، فيه ثلثمائة
قصر في كل قصر ثلثمائة بيت في كل بيت ثلثمائة لون من العذاب وفيه الحيات
والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال وفيه جب الحزن ليس في
النار عذاب أشد منه ، إذا فتح الجب حزن أهل النار حزناً شديداً . الباب
السابع يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً . وفيه بثر اللهب إذا فتح

تخرج منه النار تستعيد منه النار ، وفيه الذي قال الله عز وجل (سأرهقه صعوداً) وهو جبل من نار تصعده أعداء الله على وجوههم مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، فهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد ، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضرب سمع صوتها الثقلان ، أبواب النار حديد ، فرشها السخى (٥٨) غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، لهم من فوقهم ظلل من النار . ومن تحتهم ظل أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء مدلهمة مظلمة ، قد مزجت بغضب الله .

وذكر القتيبي في كتاب عيون الأحبار ، وذكر عن ابن عباس إن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب ، وهي كما قال تعالى (لها سبعة أبواب) على كل باب سبعون ألف جبل سبعون ألف شعب من النار ، في كل شعب سبعون ألف شق من نار ، في كل شق سبعون ألف واد من نار ، في كل واد سبعون ألف قصر من النار ، في كل قصر سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب ، لكل عقرب سبعون ألف ذنب ، لكل ذنب سبعون ألف نقار لكل نقار سبعون ألف قلة من سم ، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فتطير منها سراق عن يمين الثقلين وآخر عن شمالهم وسراق أمامهم وسراق من فوقهم وآخر من ورائهم ، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم سلم .

قال القرطبي : ومثله لا يقال من جهة الرأى ، فهو توقيف لأنه إخبار عن مغيب . انتهى .

ثم نقل عن وهب بن منبه نحوه . وأقول : وهب يحدث عن الإسرائيليين كثيراً ولا يقبل مثل ذلك عنه ولا عن أمثاله ونظرائه إلا أن يرد به دليل من

(٥٨) يقال سخوت النار أخجوها سخواً ، وذلك إذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد .

الكتاب أو السنة الصحيحة ، وما ورد في ذلك من القرآن والحديث يكتفى ويشفى ويغنى عن غيره .

(باب)

ما جاء في عظم جهنم وأزمتها
وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم
وفي قمع النبي ﷺ إياها وردّها عن أهل الموقف

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بهم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام^(٥٩) سبعون ألف ملك يجرونها أخرجه مسلم ورواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ ولفظه « يجاء بهم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » قال في مجمع الزوائد : ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر ابن الصباح ، وقد وثقه ابن حبان . انتهى .

زاد زيد بن أسلم : فيبناهم إذ شردت عليهم شرده انفلتت من أيديهم ، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها ، ذكره ابن وهب بطوله ، وزاد أبو حامد في كتاب « كشف علم الآخرة » فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين ، ويجعل كل واحد منهم يقول : نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها ومحمد ﷺ يقول : أمتي أمتي سامها ونجها يارب ، وليس في الموقف من يحمله ركبته ، وهو قوله تعالى (وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى آخر ما قال ، وملائكة النار كما وصفهم الله تعالى (غلاظ شداد) .

(٥٩) الزمام ما يزم به الشيء أي بشد ويربط .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم : ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب ، رواه ابن وهب . وقال ابن عباس : ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم .

وأما قوله تعالى (عليها تسعة عشر) فالمراد رؤسائهم كما تقدم في باب الآيات ، وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال أهل العلم : إنما خص النبي ﷺ بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء لأنه رآها في مسراه وعرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح ، وفي ذلك فوائد ثمان ذكرها القرطبي في التذكر^(٦٠) . ليس في ذكرها هنا كثير فائدة .

(٦٠) منها أن فيه دليلاً فقهياً على أن الجنة والنار قد خلقتا ، خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقهما ، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله (أعدت للكافرين) والإعداد دليل على الخلق والإيجاد .

(باب)

في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من
عنده جواز

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول : وعزة ربى ليخلى بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً واحداً ، فيقولون من أزواجك ؟ فيقول كل متكبر جبار ، أخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى . وفى قوله تعالى (وتقول هل من مزيد) دلالة على كلام جهنم واضحة لانخفاء بها ، وفى حديث أنس ابن مالك يرفعه . تقول جهنم لا يجوزنى إلا من عنده جواز . قال النبى ﷺ يا جبريل ما الجواز قال أبشر أبشر من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم . الحديث ذكره القرطبي .

(باب)

ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال تعالى (عليها تسعة عشر)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله ﷺ . هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا لا ندرى حتى نسأله ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال وبماذا غلبوا ؟

قال سألم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ، فقالوا لا ندرى حتى

نسأل نبينا ، قال أغلب قوم ستلوا عما لا يعلمون ، فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ولكنهم قد سألوا نبهم فقالوا (أرنا الله جهرة) فلما جاءوا قالوا يا أبا القاسم : كم عدد خزنة جهنم ؟ قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسع . قالوا نعم . الحديث رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

(باب)

ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها
تقدم ما ورد من الآيات في بابها

عن مجاهد عن ابن عباس قال : أتدرى ما سعة جهنم ؟ قالت لا . قال أجل والله ما تدرى ، إن بين شحمة أذنى أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجرى فيها أودية القبح والدم ، قلت له أنهار ؟ قال لا بل أودية ، ثم قال أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت لا ، قال أجل والله ما تدرى ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) قالت : قلت فأين الناس يومئذ ؟ قال على جسر جهنم . أخرجه بن المبارك والترمذى وصححه .

قال في مجمع الزوائد : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبسة ابن سعيد وهو ثقة .

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال : لسرادق النار أربع جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة . ذكره بن المبارك وأخرجه الترمذى أيضاً وقال عبد الله بن مسعود : إن جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج على الرمح وذكره الثعلبى والقشبرى عن ابن عباس .

(باب)

ما جاء في أن الشمس والقمر يقذفان في النار

عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية (وجمع الشمس والقمر) قال
يجمعان يوم القيامة ثم يفقدان في النار فتكون نار الله الكبرى .

وعن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ :
إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار . أخرجه أبو داود الطيالسي . قال
في مجمع الزوائد ورواه أبو يعلى وفيه ضعف قد وثقوا .

قال القرطبي كذا الرواية « ثوران » بالمثلثة وإنما يجمعان في جهنم لأنهما
قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذاباً لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل
ذلك بهما زيادة في تكبيت الكافرين وحسرتهم ، هكذا قال بعض أهل العلم :

* * *

(باب)

ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها أجارنا الله
منها

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ،
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ،
فهي سوداء مظلمة . رواه مالك والترمذي وهذا لفظه ، قال الموقوف في هذا
الباب أصبح ولا أعلم أحد رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك وعنه موقوفاً
مثله ، وقال « فهي كسواد الليل » مكان « سواد مظلمة » رواه ابن المبارك ،
وعنه أنه قال ترونها كقاركم هي أشد سواداً من القار ، والقار الزفت .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار
جهنم؟ هي أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً ، رواه الطبراني في الأوسط .
قال في مجمع الزوائد ورجاله الصحيح ، وعنه قال : قال رسول الله ﷺ
هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
وعن سلمان قال النار سوداء لا يضيء لها ولا جمرها .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار ابن آدم التي يوقنون
منها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، فقالوا يا رسول الله وإن كانت لكافية؟
قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً . أخرجه مالك ومسلم وزاد : كلها مثل
حرها .

وفي تيسير الوصول إلى أحاديث جامع الأصول أخرجه الثلاثة والترمذي ،
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن ناركم هذه جزء من

سبعين جزءاً^(٦١) من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعت بها ،
ولأنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها . رواه ابن ماجه ورواه البزار عن أنس عن
النبي ﷺ بلفظ أنه ذكر نار جهنم فقال إنها لجزء من سبعين جزءاً من نار
جهنم وما وصلت إليكم - أحسبه قال - حتى نضجت مرتين بالماء لتضيء
لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة قال في مجمع الزوائد ورجاله ضعفاء على توثيق
لين فيهم .

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال الرؤيا الصالحة بشرى
وهي جزء من سبعين جزءاً من النبوة ، وإن ناركم - يعني هذه - جزء من سبعين
جزءاً من سموم جهنم ، وما دام العبد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما لم يحدث ،
رواه البزار وفيه عبيد بن إسحق العطار وهو متروك ووثقه ابن حبان ، وبقيّة
رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة نحوه مرفوعاً وقال ولولا أنها ضربت بالماء مرتين
ما كان لأحد فيها منفعة ، خرجه سفيان بن عيينة ، وفي خبر آخر عن ابن
عباس : هذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها .
ذكره أبو عمرو . وقال عبد الله بن مسعود لولا أنها ضرب بها البحر عشر
مرات ما انتفعت بشيء منها ، وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مما خلقت ؟
فقال من نار جهنم غير أنها طفت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قربت
لأنها من نار جهنم .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بأنعم الناس يوم
القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت
خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟

(٦١) يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم لكانت جزءاً من
نار جهنم .

فيقول لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط ، أخرجه مسلم وأخرجه ابن ماجه أيضاً عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال أى فلان هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول لا ما أصابني نعيم قط ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرراً وبلاء فيقال اغمسوه غمسة في الجنة فيغمس فيها غمسة فيقال له أى فلان هل أصابك ضرر وبلاء فيقول لا ما أصابني ضرر قط ولا بلاء .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لو أن جهنمياً من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصرها لأحرقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصرونه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله ، أخرجه إبراهيم بن هذبة وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم ، أخرجه البزار .

(باب)

ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها
وفي قدر الحجر الذى يرمى به فيها . أجارنا الله منها
ومن أهوالها

روى الأئمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ اشتكت النار إلى
ربها فقالت رب أكل بعضى بعضاً فجعل لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في
الصيف فشدة ما يجدون من البرد زمهريرها وشدة ما يجدون من الحر من
سمومها. أخرجه البخارى ومسلم والترمذى، ورواه أبو يعلى عن أنس بن مالك
ولفظه فشدة ما تجدون من الحر من حرها وشدة ما تجدون من البرد من
زمهريرها، قال في مجمع الزوائد وفيه زياد النيرى وهو ضعيف عند الجمهور .
انتهى .

قلت : وأصله في الصحيح كما عرفت ، وعن أبي هريرة قال : قال
رسول الله ﷺ إن جهنم قالت يا رب ائذن لى في نفسى فأنى أختبى أن أفيض
على خلقك فأذن لها بنفسين في كل سنة مرتين ، فشدة الحر من فيحها وشدة
البرد من زمهريرها رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، قاله الهيثمى في مجمع
الزوائد .

وعن أبي سعيد الخدرى قال سمع رسول الله ﷺ صوتاً هائلاً فأتاه
جبريل فقال رسول الله ﷺ ما هذا الصوت يا جبريل ؟ فقال هذه صخرة
هوت من شفير جهنم من سبعين عاماً فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن
يسمعهك صوتها ، فما رأى رسول الله ﷺ ضاحكاً ملأ فيه حتى قبضه الله .

رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف ،
قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ يسمع رجلة فقال النبي ﷺ ما تدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها ، أخرجه مسلم. وعن الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا — يعني منبر البصرة — عن النبي ﷺ قال إن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم فتوى فيها سبعين عاماً وما تقضى إلى قرارها ، قال وكان ابن عمر يقول أكثر وأذكر النار فإن حرها شديد وقعرها مديد وإن مقامها حديد ، رواه الترمذي وقال لا نعرف للحسن سمياً من عتبة بن غزوان ، وإنما قدم عتبة البصرة زمن عمر وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

وعن لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة فقلت حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لو أن صخرة وزنت عشر خلفات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وأثام ، قيل وما غي وأثام قال بثران في جهنم يسيل منهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكرهما الله تعالى في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) وقوله (من يفعل ذلك يلق أثاماً) رواه الطبراني وفيه ضعف قد وثقهم ابن حبان وقال يخطئون .

وعن الزهري قال بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات (٦٢) بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ

(٦٢) الخلفة الناقة .

قعرها سبعين خريفاً . أخرجه ابن المبارك وروى الطبراني نحوه ، وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي أمامة قال إن ما بين شفير جهنم سبعين خريفاً من حجر يهوى — أو قال صخرة تهوى — عظمها كعشر عشرات عظام سمان ، فقال له موسى لعبد الرحمن بن خالد هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة؟ قال نعم غي وأثام ، رواه ابن المبارك .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لو أن حجراً كسبع خلفات بشحومهن وأولادهن ألقى في جهنم لهُوى سبعين عاماً لا يبلغ قعرها رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ لو أن حجراً قذف به في جهنم لهُوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها ، رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجالها ثقات .

وعن بريدة عن النبي ﷺ قال لو أن حجراً يهوى في جهنم لما وصل إلى قعرها سبعين خريفاً . رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف .

وعن خالد بن عمر العدوي قال : خطبنا عروة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصا بها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه ذكر لنا أن الحجر ليلقي من شفير جهنم فيهُوى بها سبعين عاماً لا يدرك لها قعر ، والله لتمثلتن . الحديث أخرجه مسلم ، قال كعب : لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها ، وإن جهنم

لنزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول
نفسى نفسى ذكره القرطبي .

(باب)

ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان

ذكر رزين أن رسول الله ﷺ قال : من كذب على معتمداً فليتبوأ بين
عيني جهنم مقعداً ، قيل يا رسول الله ولها عينان ؟ قال : أما سمعتم الله يقول
(إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار وله
عينان تبصران ولسان ينطق فيقول : وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ،
فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلنقطه من البرية .

وفي رواية أخرى : فيخرج عنق من النار فيلنقط الكفار لقط الطائر
حب السمسم ، صححه أبو محمد بن العرب في قبسه وقال : أى يفصلهم عن
الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من البرية .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ يخرج عنق من النار يوم
القيامة فيكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به ، فيقول
إني أمرت بمن جعل مع الله إلهاً آخر ؛ وبكل جبار عنيد ، ومن قتل نفساً
بغير نفس ، فتنتطق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام ، وفي رواية فتنتطوى
عليهم فتقذفهم في جهنم ، رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار ، وأبو يعلى
بنحوه والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح .

وعن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الناس
في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنها يكفونها
وهي تقول : وعزة ربى لتخلن بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقاً

واحدة ، فيقولون ومن أزواجك ؟ فتقول كل متكبر جبار ، فتخرج لسانها فتلتقطهم من بين ظهرائي الناس فتقذفهم في جوفها ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضها بعضاً وخزنها يكفونها وهي تقول :

وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون ومن أزواجك فتقول كل جبار كفور ، فتلتقطهم من بين ظهرائي الناس فتقذفهم في جوفها ، ثم يستأخر ثم يقبل يركب بعضهم بعضاً وخزنها يكفونها وهي تقول : وعزة ربي لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقاً واحدة ، فيقولون ومن أزواجك ؟ فتقول كل مختال فخور ، فتلتقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها . ثم يستأخر ويقضي الله بين العباد ، رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا إلا أن ابن إسحق مدلس ، قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ، فيقول إني وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين ، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح . وفي الباب عن أبي سعيد .

وكان بعض الوعاظ يقول : أيها المجترئ على النار ألك طاقة بسطوة مالك خازن النار ، ومالك إذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضاً .

(باب)

ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم

روى عن الحسن أنه قال : ما في جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه . وروى عن ابن مسعود نحوه .

وعن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ لو أن رصاصة مثل هذه ، وأشار إلى الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن يبلغ أصلها أو قعرها . أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث إسناده صحيح .

قال القرطبي : و فى الخبر أن الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا فيناديهم : يا أهل النار ما تشتهون ، فيقولون نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزداد فى أغلالهم وسلاسل تزداد فى سلاسلهم .

وقال محمد بن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا ما خلا منها وما بقى ما عدل حلقة من حلق جهنم . وقال ابن زيد : ويقال إن حلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته . قال (ولهم مقامع من حديد) يجمعون بها هؤلاء فإذا قال خذوه فيأخذوه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صارت تحت أيديهم رفاتاً فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى الحديد ، قال فيلقون فى النار مصفودين ، قال فليس شيء لهم يتقون به إلا الوجوه وهم مصفودون قد ذهب الأبصار فهم عمى ، وقرأ له قوله تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) إلى آخر الآية .

قال إذا ألقوا فكادوا يبلغون قعرها تلقاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها حتى إذا

١٣٩

كادوا يخرجون تلقهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربوهم بها فجاء أمر بغلب اللهب فهووا كما هم سافلين ، هكذا وقرأ قول الله عز وجل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) فهم كما قال الله تعالى (عاملة ناصبة تصلي ناراً حامية) .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال : لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض . رواه أحمد وأبو يعلى قال في مجمع الزوائد وفيه ضعف وقد وثقوا .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد ، رواه أحمد وأبو يعلى في حديث طويل وفيه ابن لهيعة وقد وثق على ضعفه .

وروى عن طاوس أن الله عز وجل خلق ملكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه بأصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعاً من أصابعه على السماء لأذاها . ذكره القتيبي في عيون الأخبار له .

* * *

(باب)

ما جاء في كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها

عن عبد الرحمن بن زيد قال . تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولوا هاربين ، فيقول الجبار تبارك وتعالى : ردوهم عليها فيردوهم ، فذلك قوله تعالى (يوم يولون مدبرين ، ما لكم من الله من عاصم) أى مانع يمنعكم ، ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتندرد حدقهم فيدخلوها عمياً مغلولين في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم ، قال : قال رسول الله ﷺ ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب . ذكره ابن وهب .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقتهم فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب ، رواه الطبراني في الأوسط ، قال في مجمع الزوائد وفيه شمس بن سليمان بن الأصباني ، وهو ضعيف .

(باب)

في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

قال القرطبي : يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطير كما يطير الشرر . فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب ، فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمها على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار .

وقال بعض المفسرين هو معنى قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العقوبة له ، وقال لعلك تقول كيف ترى أهل الجنة أهل النار ، وأهل النار أهل الجنة كيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لا ثقل هكذا فإن الله يقوى أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض ، وهذا قريب في قدرة الله جداً .

(باب)

في نفس أهل النار

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو أن في المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصاب نفسه لا حترق المسجد ومن فيه ، رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق ، ولم يعينه فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه ، قاله في مجمع الزوائد ، وعن أبي هريرة مثله ولفظه ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم رواه الزار وفيه عبد الرحيم بن هارون وهو ضعيف ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال يعتبر حديثه إذا حدث من كتابه فإن في حديثه من حفظه بعض المنكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(باب)

ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية وبحاراً
وصهاريج وحياضاً وآباراً أو جباباً وتنانين وسجوناً
وبيوتاً وجسوراً وقصوراً أو أرجاء ونواعير وعقارب
وحيات أجارنا الله منها بفضلته وكرمه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوى فيه كذلك أبداً ، أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة .

وفي حديث أنس رضي الله عنه أن من مات سكرانا فإنه يبعث يوم القيامة سكراناً إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران أجارنا الله منه .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فهو كذلك ، أخرجه ابن المبارك عن طريق رشدين ابن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم ، وعن عطاء ابن يسار قال الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره .

وذكر بن عطية في تفسيره عن ابن عياض أنه قال الويل صهرج في جهنم من صديد أهل النار وقال زياد بن وقاص الويل مسيل في أصل جهنم ، وحكى الزهراوى عن آخرين أنه باب من أبواب جهنم ، وقال أبو سعيد الخدري إنه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفاً وأخرج الترمذى مرفوعاً عن أبي سعيد الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره قال وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي لهيعة .

وقال ابن زيد اليعموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار لا بارد بل حار لأنه من دخان شفير جهنم ، ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب : ولأحسن منظره ، وقال مجاهد واد في جهنم يقال له موبق وعن عكرمة هو نهر في جهنم يسيل ناراً على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فإذا طارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاحتحام في النار وقال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم قال نوف البكالى في قوله تعالى (وجعلنا بينهم موبقاً) قال واد في جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان .

وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال إن في جهنم لوادياً يقال له هب هب يسكنه كل جبار ، رواه الترمذى ورواه الطبرانى بلفظ « إن في

جهنم وادياً وفي الوادي بئر يقال له ههب حق على الله أن يسكنها كل جبار
عنيد « قال في مجمع الزوائد وفيه أزهر بن سنان وهو ضعيف .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : قال رسول الله ﷺ إن في النار
حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين
خريقاً وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد
حموها أربعين خريقاً رواه أحمد والطبراني ، قال في مجمع الزوائد وفيه
ضعفاء قد وثقوا .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ عمر الذباب أربعون
ليلة والذباب كله في النار إلا النملة رواه أبو يعلى قال في المجمع ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال الذباب كله في النار إلا النملة رواه
الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهو ثقة
ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وابن عمر عن النبي ﷺ
بأسانيد وبعض رجال أسانيد الطبراني ثقات ورواه الطبراني أيضاً عن ابن
مسعود مرفوعاً وقال إلا النمل وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة وهو متروك
وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات وقال نحتاج بما وافق فيه الثقات
ونترك ما انفرد به بعد أن استخرت الله تعالى فيه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح
وقد وافق الثقات في أصل الحديث .

وعن ابن مسعود في قول الله تعالى زدناهم عذاباً فوق العذاب ، قال زيد
عقارب أنيابها كالنخل الطوال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، وعن
ابن عباس في الآية المذكورة قال هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها
بالليل وبعضها بالنهار ، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيحين ، كذا في
مجمع الزوائد .

وعن عائشة زوجة النبي ﷺ أنها سئلت عن قول الله تعالى (فسوف يلقون غياً) قالت نهر في جهنم ، واختلفوا في قوله تعالى (أعود برب الفلق) فروى عن ابن عباس أنه سجن في جهنم ، وقال كعب هويت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم وعنده عن حميد بن هلال قال حدثت أن في جهنم تنانين ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض تضيق على قوم بأعمالهم ، وذكر ابن المبارك أن في جهنم قصرأ يقال له هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله .

قال تعالى (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) وإن في جهنم وادياً يدعى أثاما فيه حيات وعقارب ، في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها فهو لما خلق له ، وأن في جهنم سبعين داء لأهلها كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم وإن في جهنم وادياً يسمى غياً يسيل قيحاً ودماً فهو لما خلق له قال تعالى (فسوف يلقون غياً) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن في جهنم بحراً أسود مظلماً منتن الريح يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره ، رواه أبو هدية إبراهيم بن هدية ، وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت يا بلال إن أباك حدثني عن جدك عن رسول الله ﷺ قال إن في جهنم وادياً ولذلك الوادى بثر يقال له ههب حق على الله أن يسكنها كل جبار فيأياك أن تكون منهم ، رواه أبو نعيم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن في جهنم وادياً يقال له للم وأن أودية جهنم لتستعيز بالله من حره ، أخرجه ابن المبارك وعن الحسين ابن علي عن رسول الله ﷺ أنه قال كل مسكر حرام وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم وهم في المنسى ، والمنسى بثر في جهنم : المكذب بالقدر والمبتدع في دين الله ومدمن الخمر ، رواه مالك والخطيب .

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار . يساقون حتى يدخلون سجناً في جهنم يقال له بوس يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال^(٦٣) ، أخرجهم ابن وهب وابن المبارك ، وعنه عن النبي ﷺ قال يحشرون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بوس يعلوهم نار الإيتار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال . أخرجهم الترمذي وقال حديث حسن .

وروى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ المدينة مهاجرة وفيها مضجعي ومنها مخرجي حقاً على أمتي حفظ جيرانها من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال ، قيل وما حوض الخبال يا رسول الله قال حوض من صديد أهل النار . قال القرطبي غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه ، لم يروه عنه غير أبي الزناد تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن والله أعلم .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال تعوذوا بالله من جب الحزن ، فقيل يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعدده الله للقراء المرائين .

وفي رواية الذين يراءون الناس بأعمالهم ، أخرجهم أسد بن موسى والترمذي

(٦٣) قال القرطبي طينة الخبال عرق أهل النار وعصارتهم وهو شراب أيضاً لمن يشرب المسكر جاء ذلك في صحيح البخاري عن جابر أن رجلاً قدم من جيشان . وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من اللذة يقال له المذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ؟ قال نعم قال إن على عهد لمن شرب المسكر أن يمقيه من طينة الخبال ، قال يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار .

وقال في حديث أبي هريرة مائة مرة . قلنا يا رسول الله ومن يدخله؟ قال القراء المراءون بأعمالهم وقال هذا حديث غريب وخرجه ابن ماجه أيضاً .

عن أبي هريرة ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعائة مرة. قيل يا رسول الله ومن يدخله؟ قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وأن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة أيضاً ولفظه بعد قوله أربعائة مرة يلتقي فيه الغوارون، قيل يا رسول الله وما الغوارون؟ قال المراءون بأعمالهم في الدنيا. قال في مجمع الزوائد وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو مجمع على ضعفه . انتهى .

قال المحاربي وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه ﷺ قال إن في جهنم لواديا إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات وإن في ذلك الوادي لجباً إن جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب وإن في ذلك الجب لحية إن جهنم والوادي وذلك الجب ليتعوذون من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن .

وقال أبو هريرة إن في جهنم لرحى تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا فيقول ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ قالوا إنا كنا نأمركم بالأمر وننألفكم إلى غيره ، قال القرطبي وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد وقال أبو المثني إلا ملوكي إن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فترة قال محمد بن كعب القرظي إن لملك مجلساً في وسط جهنم وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها : الحديث .

(باب)

في بيان قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وفي ساحل
جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

عن زيد بن شجرة قال : وكان معاوية بعثه في الجيوش يلقي عدواً ، فرأى
في أصحابه فشلاً فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، اذكروا
نعمة الله عليكم وذكر الحديث وفيه : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم
وسماتكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان ها نورك ، يا فلان لانور لك ،
إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبيحت وعقارب كالبعال
الدهم .

فإذا استغاث أهل النار قالوا الساحل ، فإذا ألقوا فيها سلطت عليهم تلك
الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم يكشطها كشطاً فيقولون :
النار النار ، فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو
عظمه وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعاً ، قال يقال يا فلان هل تجد هذا
يؤذيك ، فيقول وأي أذى أشد من هذا ، قال يقال هذا بما كنت تؤذى
المؤمنين .

وعن أبي سعيد الخدري قال : إن العقبة صخرة في جهنم إذا وضعوا
أيديهم عليها ذابت فإذا رفعوها عادت ؛ أخرجه ابن المبارك .

قال ابن عمر وابن عباس : هذه العقبة جبل في جهنم . وقال محمد بن
كعب وكعب الأحبار ، وهي سبعون درجة في جهنم ، وقال الحسن وقتادة :
هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل ،

وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط وقيل النار نفسها ، وقيل هو جبل بين الجنة والنار ، يقول فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح . ثم بين اقتحامها بما يكون فقال (فك رقبة) الآية .

قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام تقديره ، أفلا اقتحم العقبة ، يقول هلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي ، وقيل في الكلام التمثيل والتشبيه ، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة . فإذا أعتق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتؤذيه وتثقله ، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوحيد الخالص كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها ، قال القرطبي هذا حديث حسن ، قال الحسن : هي والله عقبة شديدة : مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لأن أجمع أناساً من أصحابي على صاع من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى السوق فأشترى نسمة فأعتقها أخرج الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق .

(باب)

ما جاء في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة)

الوقود بالفتح : الحطب وبالضم اسم الفعل وهو المصدر ، والناس عام ومعناه الخاص ، أى من سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها أجارنا الله منها بكرمه ، قال القرطبي : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل .

عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار الخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرعوه وقالوا من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : هل ترون في أولئك من خير ؟ قالوا لا ، قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار ، خرجه بن المبارك ، والحجارة هي حجارة الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء أو كما شاء .

قال ابن مسعود وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الإبقاء وتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت ، وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) . والحصب ما يلقى في النار مما تزكى به ، وعليه فيكون الحجارة والناس وقوداً للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة قال القرطبي : وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : كل مؤذ في النار وفي تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار (الثاني) كل ما يؤذى الناس في الدنيا من السباع والهوم وغيرها في النار معد لعقوبة أهل النار ، وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين والله أعلم .

(باب)

ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف
كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب
أعمال الأعضاء

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : يعظم أهل النار في النار حتى إن بين
شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون
ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ،
في أسانيدهم أبو يحيى القتات وهو ضعيف وفيه خلاف : وبقيّة رجاله أوثق
منه ، قاله في مجمع الزوائد .

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : يعقد الكافر في النار مسيرة ثلاثة
أيام كل ضرس مثل أحد وفخذه مثل ورقان وجلده سوى لحمه وعظمه
أربعون ذراعاً ، رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وقد وثق على
ضعفه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ضرس الكافر أوناب
الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع . رواه مسلم .
وأخرج الترمذي عن النبي ﷺ قال : إن جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً
وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة ، قال هذا حسن
صحيح غريب من حديث الأعمش ، وفي رواية وفخذه مثل البيضاء (٦٤)

(٦٤) قال القرطبي : البيضاء جبل .

ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة^(٦٥) أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال هذا حديث حسن غريب .

وعن أبي هريرة قال : ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتلي^{*} منهم وليذوقوا العذاب ، أخرجه ابن المبارك .

وعن أبي هريرة قال : ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء وجبينه مثل الوراقان ومجلسه من النار كما بين الوراقان وبين الربذة وكف بصره سبعون ذراعاً وبطنه مثل أضم ، قال الجوهري : أضم بالكسر جبل قال القرطبي : الوراقان جبل بالمدينة .

وعن عبدة بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ بصر الكافر يعنى غلظ جلده سبعون ذراعاً وضرسه مثل أحد سائر خلقه ، أخرجه ابن المبارك ، وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوى كدوى الوحش .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسين يتوطأه الناس . رواه الترمذى .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر يوم القيامة ، مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً ومقعده من النار مثل ما بين وبين الربذة ، رواه أحمد ورجال رجال الصحيح غير ربيع بن إبراهيم وهو ثقة .

وعن يزيد بن حبان التيمى قال انطلقت أنا وحسين بن سبرة وعمر ابن مسلم إلى زيد بن أرقم وحدثنا زيد في مجلسه ذلك قال الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون ضرس من أضراسه مثل أحد ، قال في مجمع

(٦٥) مثل الربذة يعنى به كما بين مكة والمدينة .

الزوائد قلت رواه أحمد في حديث طويل ورجاله رجال الصحيح . وعن ثوبان قال وسئل رسول الله ﷺ قال ضرر الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار ، رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .

عن سمرة بن جندب أن نبي الله ﷺ قال منهم من تأخذه النار إلى كعبه ومنهم من تأخذه إلى ركبته ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته وفي رواية إلى حقويه . أخرجه مسلم .

قال القرطبي هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى ، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وقتل فيهم وأفسد في الأرض وكفر مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ، ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه ، وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميّتهم إمامة حسب ما تقدم بيانه والله أعلم .

ومن خبر كعب الأحبار : يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرعون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم بمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبته ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره .

وذكر القتيبي في (عيون الأخبار) له مرفوعاً عن أبي هريرة أنه قال وإن زادت حسناته على سيئاته حبس على الصراط سبعين سنة ، ثم بعد ذلك

يدخل الجنة ، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ، فيعذبون في النار ، على قدر أعمالهم ومنهم من تنهى النار إلى ركبته ، ومنهم من ينتهى النار إلى وسطه .

وذكر الفقيه أبو بكر بن برحان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) قال : أرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذا الحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر اشتملته النار في الآخرة .

وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) وعن الحارث ابن قيس أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها .

* * *

(باب)

ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار
بذلك

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون . أخرجه مسلم وذكره قاسم بن أصبغ من حديث ابن مسعود أيضاً ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي والمصور يصور التماثيل .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، أخرجه أبو عمرو بن عبد البر وابن ماجه

وابن وهب وفي إسناده عثمان بن مقسم البزري لم يرفعه غيره ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معتزلي المذهب ليس حديثه بشيء . قاله أبو عمرو .

وعن ابن زيد قال : يقال إنه ليؤذى أهل النار نئن فروج الزناة يوم القيامة . ويذكر عن بعض أهل العلم قال . ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار ، وكل أهل النار في أذى ، رجال مغلفة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم ، فيصيحون حتى تعلوا أصواتهم أهل النار ، فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار قد فعل بكم هذا فقالوا كنا متكبرين .

ورجال قد شقت بطونهم يسحبون في النار أمعاءهم فقال لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا ، ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون قيل لهم ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا كنا نسعى بين الناس بالنميمة ذكره ابن المبارك .

وعن شقي بن مانع الأصبح عن رسول الله ﷺ قال : أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض .

ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى ، قال فرجل مغلق عليه تابوت من حجر ، ورجل يجر أمعاءه يسيل فوه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه ، قال فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء أو قال وفاء ، ثم يقال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ، قال فيقول إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله ، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا

من الأذى ، قال فيقول . إن الأبعد كان ينظر في كل كلمة بدعة خبيثة يستلذ بها ويستلذ الرفث بها فيذيعها أى يفشها .

ثم يقال للذى يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ، قال فيقول إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة . خرجه الحافظ أبو نعيم وقال تفرد به إسماعيل بن عياش ، وشئ مختلف فيه فقيل له صحبه .

✽ ✽ ✽

(باب)

في عذاب من عذب الناس في الدنيا

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا . رواه أبو داود الطيالسى وخرجه البخارى في التاريخ ، وخرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم ابن حزام مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس ، فقال ما شأنهم ؟ قالوا حبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله عز وجل يعذب الدين يعذبون الناس .

(باب)

في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن
المنكر وأتاه

وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفي أعوان
الظلمة كلاب النار

عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينجاء برجل
فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه . فيطيف به أهل النار
فيقولون أى فلان أأست كنت تأمرنا بالمعروف ونهى عن المنكر ؟ قال
فيقول كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله ، رواه البخاري
وخرجه مسلم بمعناه .

عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالرجل
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق^(٦٦) أفتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمرنا بالمعروف
ونهى عن المنكر ، فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتبه وأنهى عن المنكر
وآتبه .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أتيت ليلة أسرى
بى على أقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت ، قلت
من هؤلاء يا جبريل ، فقال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ،

(٦٧) الالتحاق : الخروج بسرعة . والأفتاب : الأمعاء .

أخرجه الحافظ أبو نعيم ، وروى مثله ابن المبارك أيضاً ولفظه في آخره
(الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب) .

وعن الشعبي قال : تطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم في النار فيقولون
ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ، قالوا إنا كنا
نأمركم بالخير ولا نفعله رواه ابن المبارك .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ إن الله يعافى الأميين يوم
القيامة مالا يعافى العلماء ، أخرجه أبو نعيم ، وهذا حديث غريب تفرد به سيار
عن جعفر لم يكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، وعن ابن عمر
قال : قال رسول الله ﷺ : الجلاوزة (٦٧) والشرط أعوان الظلمة كلاب
النار ، رواه أبو نعيم وهو غريب من حديث طاووس تفرد به محمد بن مسلم
الطائفي عن ابن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس .

فصل

قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبداً فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن ، وعصى السيد ، فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده إلى النار ، فيقول عند ذلك واحسرتاه واغبناه ، أما هذا عبدي أما كنت مالكا لمهجته وماله ، وقادراً على جميع ماله ، فما له سعد ومالي شقيت ! فيناديه الملك المتوكل به لأنه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسأت — ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه وقدمه بين يديه .

فإذا كان يوم القيامة أمر بالوراث إلى الجنة وأمر بصاحب المال إلى النار ، فيقول واحسرتاه واغبناه ، أما هذا مالي فأحسننت به أحوالي وأعمالى فيناديه الملك المتوكل به لأنه أطاع الله وما أطعته وأنفق لوجهه وما أنفقت . فسعد وشقيت ، ورجل علم قوماً وعظهم فعملوا بقلوبه ولم يعمل .

فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار ، فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا علمي فإلهم فازا به وما فزت وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك المتوكل به ، لأنهم عملوا بما قلت وما عملت ، فسعدوا وشقيت ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله قال إبراهيم النخعي : إني لأكره القصص لثلاث آيات : لقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الآية .

وقوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقوله تعالى (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) .

قال القرطبي رحمه الله : وألفاظ هذه الآيات تدل مع ذكرناه من

الأحاديث على أن عقوبة ما كان عالماً بالمعروف وبالمُنكر وبوجوب القيام
بوظيفة كل واحد منهما أشد من لم يعلمه . وإنما ذلك لأنه كالمستبين بحرمات
الله والمستخف لأحكامه وهو كالمستهزئ ممن لم ينفعه الله بعلمه .

وقد قال ﷺ : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .
وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله ﷺ إن الذين يأمرون الناس بالبر
وينسون أنفسهم يجرّون قصبهم في نار جهنم ، فيقال لهم من أنتم ؟ فيقولون
نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا .

قال القرطبي في التذكرة : إن قال قائل في حديث أبي سعيد الخدري
أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها احترقوا فيها وماتوا على ما ذكرتموه
في أصح القولين وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه فكيف الجمع
بينهما ؟ قيل له الجمع ممكن وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما
قال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) قال
الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا
فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضاً أحوالهم في طول التعذيب
بحسب جرائمهم وآثامهم .

وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متأبين حالة موتهم غير أن آلامهم تكون
أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم
وهم أحياء . دليله قوله تعالى (وحق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون
عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء
في حديث البراء من قول الكافر : رب لاتقم الساعة رب لاتقم الساعة لأنه
يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم .

وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة
لغيرهم كما في حديث سمرة الطويل ، إلا أن قوله في حديث أسامة بن زيد
« يوم القيامة » يدل على ذلك ، وقد يجمع له الأمران لعظم ما ارتكبه من
مخالفة قولهم فعلهم ، نعوذ بالله من ذلك .

* = *

(باب)

ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

تقدم في باب الآيات من ذلك ما يشفى ويكفى وفيها أن ثيابهم من نار وسراويلهم من قطران وطعامهم الزقوم والحميم والغساق والضريع والغسلين ، قال الهروي معناه صديد أهل النار وما يتغسل ويسيل من أبدانهم ، والغساق ما يسيل من صديدهم ، وقيل القمح الغليظ .

قال ابن عمر: لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أنتنت أهل المشرق ، وقيل الغساق الذي لا يستطيع من شدة برده وهو الزمهرير ، وقال كعب هو عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فيستنقع ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام فيجر لحمه من كعبه كما يجر الرجل ثوبه جزاء وفاقاً ، أى وافق أعمالهم الخبيثة ، واختف في الضريع فقليل هو نبت ينبت في الربيع وقيل هو الشوك وقيل الحمجارة وقيل الزقوم وقيل واد في جهنم .

قال القرطبي : قال المفسرون الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها يحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليه من كان فوقه فياً كلون منه ، وقال أبو عمران الجوني : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها ، والمهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس ، وقيل المهل عكر الزيت الشديد السواد .

(باب)

ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم
ولإجابتهم

عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع فإذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً ، يقولون : (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) فيجيبهم الله تعالى :

(ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشررك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) . ثم يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون) فيجيبهم الله تعالى (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) ثم يقولون (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتليج الرسل) فيجيبهم الله تعالى (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) .

ثم يقولون (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) فيجيبهم الله تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ويقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) فيجيبهم الله تعالى (اخشعوا فيها ولا تكلمون) . أي بعدها أبداً ، رواه البيهقي وخبره ابن المبارك بأطول من هذا ، فقال أخبرنا الحكم بن عمرو بن أبي ليلى قال :

حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول :

بلغني وذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما العذاب) فسألوا يوماً

واحداً يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم الخزنة : (أو لم تلك تأتيكم
رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى) فردت عليهم الخزنة (فادعوا وما دعاء
الكافرين إلا في ضلال) قال فلما بشوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم
وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فبرى أقصاها
كما يرى أذاها ، فقالوا (يا مالك ليقض علينا ربك) .

قال سألوا الموت فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال والسنة ستون
وثلاثمائة شهر والشهر ثلاثون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون .

ثم لحظ إليهم بعد الثمانين (إنكم ما كنون) فلما سمعوا منه ما سمعوا
وأهيبوا مما قيل لهم قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء
والعذاب ما قد ترون فهل بالتصبر فعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة
على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا
فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص)
أى من منجا ، قال فقام إبليس عند ذلك فقال :

(إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) إلى قوله (وما أنتم
بمصرخي إلى كفرت بما أشركنموني من قبل) ، قال فلما سمعوا مقالته
مقتوا أنفسهم ، قال (فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) إلى قوله —
(فهل إلى خروج من سبيل) قال فرد عليهم (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده
كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) ، قال فهذه واحدة ،
فنادوا الثانية (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل) .

قال فرد عليهم (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يقول لو شئت لهديت
الناس جميعاً فلم يتخلف منهم أحد ، ولكن حق القول منى لأملان جهنم من
الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون) .

قال فهذه اثنتان فنادوا الثالثة (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل) فرد عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) إلى قوله : (نزول منه الجبال) .

قال فهذه الثالثة ، ثم نادوا الرابعة (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) قال فيجيبهم (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فلما للظالمين من نصير) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) .

قال فلما سمعوا صوته قالوا لأن يرحمنا ربنا ، فقالوا عند ذلك (ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوماً ضالين ، (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فقال عند ذلك (اخشثوا فيها ولا تكلمون) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض وأطبقت عليهم .

قال : فحدثني الأزهرى بن الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتلرون) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم (إنكم ما كنون) قال والله هانت دعوتهم على مالك ورب مالك . قال ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) ، الآية . قال فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين قال ثم يرد عليهم (اخشثوا فيها ولا تكلمون) .

قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق ومعنى « ما نبس » ما تكلم ، قال الجوهري يقال ما نبس بكلمة أي ما تكلم ، أخرجه ابن المبارك .

وعن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :
يلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام
من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة
فيلدكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب
فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم
فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهم فيقولون
ألم تك تأتكم رسلكم بالبينات ، قالوا بلى . قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال .

قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون (يا مالكا ليقض علينا ربك) قال
فيجيئهم (إنكم ما كنون) قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالكا
إياهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم ، قال فيقولون
(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) قال فيجيئهم (احسبوا فيها ولا تكلمون)
قال فعند ذلك يشسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة
والويل ، أخرجه الترمذى .

وزاد رزين فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً)
والحديث رفعه قطبة بن عبد العزيز عن الأعمش عن شهر بن عطية عن شهر
ابن حوشب وهو ثقة عند أهل الحديث ، والناس يوقفونه على أبي الدرداء
قوله .

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال : وهم فيها كالحون قال
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسرخى شفته السفلى
حتى تضرب سرتة ، ولسر اذق النار أربع جلد وكنف كل جدار مسيرة أربعين
سنة ولو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا رواه الترمذى
وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه عن النبي ﷺ في قوله (كالمهل) قال

كعكر الزيت فإذا قرب به إلى وجهه سقطت فروة وجهه ، قال أبو عيسى هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد ، ورشد قد تكلم فيه من قبل حفظه .

قال القرطبي وقع في الحديث « فروة وجهه » وهو شاذ إنما يقال فروة رأسه أي جلده هذا هو المشهور عند أهل اللغة وكذا جاء في حديث أبي أمامة عن أبي حنيفة .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جلده فيسل ما في جوفه حتى يبرق من قلعيه وهو الصهر ثم يعاد كما كان ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من ذبـره فيقول الله تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) ويقول (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) قال حديث غريب .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقالوا لو أن قطرة من الزقوم قطرت على أهل الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه أيضاً :

(باب)

ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها

عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فإن أهل النار سيكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح، العيون فلو أن سفناً أجريت فيها. لجرت أخرجه ابن المبارك قال في مجمع الروائد رواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه ، انتهى .

وأخرج ابن ماجه عنه قال : قال رسول الله ﷺ يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم ييكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت .

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه ، أخرجه مسلم وفي رواية من له نعلان وشر اكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وأنه لأهونهم عذاباً ، أخرجه الشيخان والترمذي .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ أهون أهل النار أبو طالب وهو متعل بنعلين يغلي منهما دماغه ، رواه البخاري .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك مافي الأرض من شيء أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي . متفق عليه ، وروى عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً أنه قال إن أهل النار ليكون الدموع في النار حتى لو أجريت فيه السفن لجرت ثم لأنهم

يكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه قليل وفي التنزيل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون) .

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولكنتم كثيراً من كثرة بكاؤه خوفاً من الله تعالى وخشيه منه ضحكاً كثيراً في الآخرة قال الله تعالى محمداً عن أهل الجنة (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) ووصف أهل النار فقال (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين) قال (وكنتم منهم تضحكون) رواه الترمذي .

...

* * *

(باب)

لكل مسلم فداء من النار من الكفار

عن أبي بردة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ في السجود طويلاً ثم يقال ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار أخرجه ابن ماجه وعنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأبليسها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ويقال هذا فداؤك من النار .

قال القرطبي وهذان الحديثان وإن كان إسنادهما ليس بالقوى قال الدارقطني جبارة بن المغلس متروك فإن معناهما صحيح بدليل حديث مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار وفي رواية أخرى لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً، قال فاستحلفه عمر ابن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ .

فصل

قال علماءنا رحمهم الله في هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليس كذلك، وإنما هي في ناس من المسلمين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل إنسان منهم فكاكاً من النار من الكفار واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال يحيى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ، خرجه مسلم ومعنى يغفرها لهم أى يسقط المؤاخلة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى الوضع أى يضاعف عليهم العذاب بذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرائمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك . لأنه تعالى لا يأخذ أحداً كما قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وله سبحانه أن يضاعف لمن شاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيته إذ لا يسأل عما يفعل ، وفي الرواية الأخرى لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهودياً أو نصرانياً ، فعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان استحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه أضاف الله ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله ﷺ في حديث أنس يقال للمؤمن الذى ثبت عند السؤال فى القبر « انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة » .

قال القرطبي قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً أو غير مذنب منزلين : منزلاً فى الجنة ومنزلاً فى النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) أى يرث المؤمنون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار وهو مقتضى حديث أنس عن النبي ﷺ « العبد إذا وضع فى قبره » الحديث إلا أن هذه الوراثة تختلف فبهم من يرث ولا حساب

ولا مناقشة ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار حسب ما تقدم من أحوال النار والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة ورثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبأ من الجنة حيث نشاء) والله أعلم .

* . * . *

(باب)

في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا تزال جهنم يأتى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط : وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقاً . فيسكنهم فضل الجنة » أخرجه مسلم والبخارى والترمذى وفي رواية من حديث أبي هريرة « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ وتزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإله ينشأ لها خلقاً » .

قال القرطبي . وللعلماء في قول النار (هل من مزيد) تأويلان .

(أحدهما) وعدّها ليملاؤها فقال أوفيتك فقالت وهل من مسلك لى قد امتلأت وهذا تفسير مجاهد وغيره وهو ظاهر الحديث .

الثانى (زدنى زدنى) تقول ذلك غيظاً على أهلها وحنقاً عليهم كما قال (تكاد تميز من الغيظ) أى تنشق ويبين بعضها من بعض ، وهى عبارة عن يستأخر دخوله فى النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجاً فوجاً كما قال تعالى (كلما ألتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) .

ويؤيده أيضاً قوله فى الحديث لا يزال يلقى فيها . فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ، وكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته . فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة قط قط أى حسبنا حسبنا اكتفيينا وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم

يبقى أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم لأن الله تعالى ليس بجسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل فتقول جاءنا رجل من جراد ، ورجل من الناس ، أى جماعة منهم والجمع أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرنا والله أعلم .

وفى التذييل (أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال ابن عباس المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى عمل صالح ، وقيل هو سابقة الجنة ، فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة والله الموفق ، قال ابن فورك ، وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ويضيقه إياه من طريق الفعل يضعه فى النار فتتملى النار منه ، قال القرطبي وهنا نحو ما قلناه فى الرجل . انتهى كلام القرطبي .

وأقول كل ما ذكر القرطبي هنا من تأويل الرجل والقدم لا يشهد له دليل من كتاب ولا سنة ولا لغة ولا مذهب أحد من سلف الأمة وأئمتها ، ونقل ابن فورك « القدم خلق » إلخ لا يقبل حتى يدل عليه دليل من السنة ، وأتى ذلك الدليل عند أهل التأويل ، والتأويل هو صنيع المتكلمين ووظيفة المتحليين لمذاهب الحكماء والفلسفة الطاغين ، ولهذا حذر النبي ﷺ عنه وقال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » رواه البيهقى فى كتاب المدخل .

عن إبراهيم العذرى ولهذا كان السلف الصالحون يمجرون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تكليف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ،

ولم يكونوا يؤولون شيئاً منها بشيء من عند أنفسهم حذراً من مضادة مراد الله ورسوله في تأويل تلك النصوص ، وكانوا يقولون الله أعلم بمراده بذلك .

فمن أول شيئاً من صفاته سبحانه فقد خالف الشريعة الحققة وسلف الأمة واقتدى بمن نكب عن الصراط المستقيم ، وقد انتدب جماعة من أهل العلم بالقرآن والحديث لرد أقوال المؤولين وردوا عليهم أقوالهم حرفاً حرفاً وأوضحوا خطأهم في إثبات التأويل على التفويض لفظاً لفظاً ، وألفوا في ذلك كتباً مهمة مطولة ومثمرة قديماً وحديثاً وكثرت الزلازل والقلاقل حتى آل الأمر إلى المقاتلة والمجادلة والتكفير والتضليل في كل زمان ومكان وابتلى بها المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً .

وكان ما كان وحاشا أهل الحديث والسنة والخبر والأثر وأصحاب الكتاب العزيز أن يعتقدوا فيه سبحانه وتعالى التجسيم والتكييف أو يعطلوا صفاته العليا أو يؤولوا أسماءه الحسنى ، بل هم أشد الناس رداً على الجسمة المشبهة وأغضبهم في سبيل الله على الجهمية المعطلة ، وإنما ينسبهم إلى التجسيم من هو جاهل سفيه لا يعرف مهورهم ولا سيرهم ولا يعلم الكتاب ولا السنة ، ولا يحوم حولها ولا يفهم معانيها .

وقد زل قدم قول من أهل المعرفة بالأخبار أيضاً في هذا المقام حتى ذهبوا إلى التأويل كالبهقي في الأسماء والصفات ، وكالقرطبي عفا الله عنا وعنهم بمنه وكرمه ، وأما مقلدة الأئمة الأربعة وأصحاب المذاهب المعتمدة فلا تسأل عنهم فإنهم بمنزل عن حلاوة الأتباع وعلى مراحل شاسعة عن سعادة التمسك بالسنة ، ررقنا الله تعالى اقتداء سلف الأمة وأئمتها وجنبنا عن تقليد الرجال ، وحفظنا عن اختيار الآراء في مقابلة نصوص كتاب الله العزيز وأدلة سنة رسوله المختار والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم وأحكم وهو المستعان .

(باب)

فى ذكر آخر من يخرج من النار

وآخر من يدخل الجنة وفى تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة : رجل يخرج من النار جبواً فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيل إليه أنها مملوءة فيرجع فيقول يا رب وجدتها مملوءة فيقول الله اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا أو عشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بي أو تضحك وأنت الملك ! قال فقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال : فيقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبوا مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الله وتعالى الذى نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين .

فترفع له شجرة فيقول أى رب ادننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تعالى :

يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتني عن غيرها فيقول لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، ورب يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول أى رب ادننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها .

فيقول ابن آدم لعلى إن أدنيتك منها تسأفنى غيرها فيعاهده أن لا يسأله

غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول مثل قوله فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول ابن آدم ما يضرني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين .

فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مما أضحك فقالوا مما تضحك قال هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا مما تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك لكني على ما أشاء قد ير ، أخرجه مسلم .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة يقول أهل الجنة : عند جهينة الخبر اليقين ، ذكره أبو حفص عمر ابن عبد الحميد القرشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار ، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم .

وعنه عن النبي ﷺ قال إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقي من الخلائق أحد ؟ رواه الدارقطني في كتاب رواه مالك ذكره السهيلي ، وقد قيل إنه اسمه هناد والله أعلم .

(باب)

ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل
الذي ينادى يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار

عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ إن ناساً من أمي يدخلون النار بأنهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعبرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم نخافوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم فلا يبقى موحداً إلا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ (ربما يود الذين كنروا لو كانوا مسلمين) أخرجه الطبراني .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن عبداً في جهنم ينادى ألف سنة يا حنان فيقول الله تعالى لجبريل ائت عبدي فلاناً فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم قال فرجع يقول يا رب لم أراه فيقول تعالى إنه في مكان كذا وكذا قال فيأتيه فيجىء به فيقول له يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيالك؟ قال فيقول شر مكان وشر مقيم قال : فيقول ردوا عبدي فيقول يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني ، فيقول الله تعالى دعوا عبدي ، رواه أبو ظلال هلال بن أبي مالك القسلي ، يعد في البصريين .

وعن سعيد بن جبير قال إن في النار لرجلاً أظنه في شعب من شعابها ينادى مقدار ألف سنة يا حنان يا منان^(٦٨) فيقول رب العزة لجبريل يا جبريل أخرج عبدي من النار فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول يا رب لأنها عليهم

(٦٨) الحنان الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه ، وروى ذلك عن علي .

١٧٩

مؤصدة فيقول يا جبريل ارجع ففكها فأخرج عبدي من النار فيفكها فيخرج.
مثل الجبال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودماً ،
ذكره أبو نعيم .

وروى ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إنما
الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ، الحديث وفيه : وأطولهم مكثاً
من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة (٦٩)

ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل
الأديان فقالوا لهم كنتم وإيانا جميعاً في الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقم وكذبنا
وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء تعذبون كما
نعذب وتخلدون فيها كما نخلد ، فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً لم يغضب
مثله من شيء فيما مضى ، ولا يغضب في شيء فيما بقي ، فيخرج أهل التوحيد
منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة فيرش عليهم من الماء
فينبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل (٧٠) فما يلي الظل منها أخضر ، وما يلي
منها الشمس أصفر ، ثم يدخاؤون الجنة فيكتب على جباههم عتقاء الله من النار
إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة .

ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكاً فيخوض في النار في طلبه
سبعين عاماً لا يقدر عليه ثم يرجع فيقول إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلان
من النار منذ سبعين عاماً فلم أقدر عليه فيقول الله تعالى انطلق فهو في وادي .

(٦٩) لم يأت في عمر الدنيا قرآن ولا حديث صحيح .

(٧٠) الحبة بكسر الميم بزور البقول ، وحميل السيل ما احتمله من طين وغشاء ، فإذا اتفق
أن يكون فيه حبة فإنها تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فشبه النبي صلى الله عليه
وسلم سرعة نبات أجسامهم بسرعة نبات تلك الحبة .

كذا تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله عز وجل أن يمحي عنهم ذلك الاسم فيبعث ملكاً فيمحاه عن جباههم .

ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى جاره ويرى صديقه ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق ويشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل عليهم منها روح ولا يخرج منه غم وينسأهم الرحمن على عرشه (٧١) ويتشأغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفير وشهيق ، فذلك قوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة) .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن زاذان قال سمعت كعب الأحبار يقول إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فنزلت الملائكة فصاروا صفوفاً فيقول الله تعالى لجبريل ائت بهم فيأتى بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت بها أفئدة الخلائق .

ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر ، وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى إن إبراهيم الخليل يقول بخلى لا أسألك إلا نفسي ويقول موسى بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي وإن عيسى يقول بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتنى .

ومحمد ﷺ يقول : أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي إنما أسألك أمتي

(٧١) قال القرطبي أى يتركهم في العذاب كما قال (نسوا الله فأنسيهم) أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم لا يعابهم ولا يلتفت إليهم .

١٨١

قال فيجيبه الجليل جل جلاله أن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك ، ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به فيقول لهم الله تعالى وتقدس معاشر الزبانية انطلقوا بالمصريين من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إلى النار فقد اشتد عليهم غضبي بتأويلهم بأمرى في دار الدنيا واستخفافهم بحقي وانهاكهم بحرمتي يستخفون من الناس ويبارزونى مع كرامتى لهم وتفضلى إياهم على الأمم ، ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى .

فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النار ، وما من عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسوداً وجهه قد وضعت الأنكال في رجليه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم ، فإذا وردوا على مالك قال لهم معاشر الأشقياء من أى أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوهاً منكم ، فيقولون يا مالك نحن من أمة القرآن فيقول لهم معاشر الأشقياء أوليس القرآن أنزل على محمد ﷺ قال فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيقولون واحمداه واحمداه أثشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك .

قال فينادى مالك بتهديد وانتهار يا مالك من أمرك بمعاينة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ، يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى في دار الدنيا .

يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة ، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام يا مالك لا تغلبهم بالأنكال فقد طافوا ببنى الحرام : يا مالك مر النار ألا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرعون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى سرتة ومنهم من تأخذه النار إلى صدره .

فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم فتح بينهم وبين المشركين باب فرأوهم في الطباق الأعلى من النار لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يبيكون ويقولون يا محمداه ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم .

ثم ينادون يا رباه واسيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدي فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد ، فيغضب الله تعالى لذلك فعندها يقول يا جبريل انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد فيخرجهم ضبائر قد امتحنوا فيأقيهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحيوان فيمكثون حتى يعودون أنضر ما كانوا ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجنة من عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا فيوثقون بالحديد ثم أمر بهم إلى النار ثم أوصدها عليهم أي أطبقها ، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا يلتقي جفونهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، فقال ثم يقال لأهل الجنة يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه .

(باب)

تفاوت أهل النار في العذاب

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى صدره مع أجزاء العذاب ومنهم من في النار إلى ترقوته مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد انغمس فيها ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن جابر قال سئل رسول الله ﷺ وقيل له هل نفعت أبو طالب ؟ قال أخرجه الله من النار إلى ضحضاح منها ، رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أدنى أهل النار عذاباً الذي له نعلان من نار يغلى منهما دماغه ، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن خالد بن موهب وهو ثقة .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به في الآخرة . رواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس وهو متروك ، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً ، قال والحقب بضع وثمانون سنة ، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً مما تعملون ، رواه البزار وفيه سليمان بن مسلم الحشاش وهو ضعيف جداً ، كذا في مجمع الزوائد .

(باب)

في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى

(فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) .

عن أبي صالح في قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) قال يقال لأهل النار وهم في النار . اخرجوا ففتح لهم أبواب النار فإذا رأوها قد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم ، فذلك قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا) إلخ . . ذكره ابن المبارك .

وعن قتادة في قوله تعالى المذكور ، قال ذكر لنا أن كعباً كان يقول إن بين الجنة والنار كوى^(٧٢) فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا اطلع من بعض الكوى ، قال تعالى في آية أخرى (فاطلع فراآه في سواء الجحيم) قال ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلى ، رواه ابن المبارك قال وأخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير جبره وسببه^(٧٣) فعند ذلك يقول (تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) في النار .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن المستهزين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم

(٧٢) جمع كوة بضم الكاف وهى الشباك بلغة المصر .

(٧٣) يقال فلان حسن الخبر والسبر إذا كان جميلاً حسن الهيئة .

١٨٥

ادخلوا الجنة فإذا جاءوها أغلق الباب في وجوههم ويفتح لهم الثانية فيقال لهم ادخلوا الجنة فإذا جاءوها أغلق الباب ويفتح لهم ثالثة فيدعون فلا يجيبون قال فيقول لهم الرب أنتم المستهزئون بعبادى أنتم آخر الناس حساباً فيقومون حتى يغرقون في عرقهم فينادون يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك ، أخرجه أبو هدية إبراهيم ابن هدية وأورده القرطبي في التذكرة .

* * *

(باب)

ما جاء في استنشاق رائحة الجنة

والصرف منها إلى النار

قال رسول الله ﷺ يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا .

قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتكم في باز تموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتوهم محبتين تراعون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم الناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب . ذكره أبو حامد الغزالي وأورده القرطبي ولينظر في سنده .

* * *

(باب)

ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، ويحصل الكفار في منازلهم من النار ، أخرجه بن ماجه بمعناه . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما منكم إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) إسناده وصحيح . قال القرطبي : وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في النار ومنزلاً في الجنة .

(باب)

ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط

ومن يذبحه

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جرى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى . مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم ، أخرجه البخارى .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح* فيوقف بين الجنة

(*) الذى يكون فيه بياض وسواد والبياض أكثر .

والنار ، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيسرفون وينظرون ، فيقولون نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيسرفون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيؤمرون فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيها . ثم قرأ رسول الله ﷺ .

(وأُنلِهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده إلى الدنيا . أخرجه مسلم وأخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبي سعيد يرفعه ، فإذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة من فرحهم . ولو أن أحداً مات حزناً مات أهل النار ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال يا أهل الجنة ، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه .

ثم يقال يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ قالوا نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح على الصراط .

ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما يجدون لا موت فيه أبداً . وأخرجه الترمذى بمعناه مطولاً عن أبي هريرة أيضاً وفيه : إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، أتى بالموت ملياً فيوقف على السور الذى بين الجنة والنار .

ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ، ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون

هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء عرفناه . هذا هو الموت الذى وكل بنا فيضعج فيذيب ذبحاً على السور ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت . قال هذا حديث حسن صحيح .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى مناد يا أهل الجنة . فيقولون لبيك ربنا ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت ، فيذيب كما تذيب الشاة ، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء . رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط بنحوه والبخارى ورجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة والطاحي نسبة إلى الطاحية بطن من الأزدي ومحلة لهم بالبصرة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال : يا أيها الناس إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يخبركم أن المراد إلى الله إلى الجنة أو نار ، خلود بلا موت وإقامة بلا ظعن . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه وزاد فيه فى أجساد لا تموت ، وإسناد الكبير جيد إلا أن ابن سابط لم يدرك معاذاً .

قلت والذى سقط بينهما عمر بن ميمون الأودى . كما رواه الحاكم فى المستدرک فى أواخر كتاب الإيمان ، وفى طريقه مسلم بن خالد الزنجى وهو عقيبته : هذا حديث صحيح الإسناد ، إلا أن الشيخين قد نسباه إلى أن الحديث ليس من صنعته والله سبحانه وتعالى أعلم .

وعن عبد الله — يعنى ابن مسعود — قال : قال رسول الله ﷺ لو قيل لأهل النار إنكم ما كنون فى النار عدد كل حصاة فى الدنيا لفرحوا بها ، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ما كنون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد . رواه الطبرانى وفيه الحكم بن ظهير وهو مجمع على إضعافه .

وعن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل النار يدعون مالكا ولا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يدعون ربهم فيقولون . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ، ثم يقول اخسثوا فيها ولا تكلمون . ثم يئأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم أصوات الحمير ، أولها شهيق وآخرها زفير . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، كذا في مجمع الزوائد .

قال القرطبي : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيهما لا إلى غاية ولا أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال في كتابه الكريم ، وأوضح فيه من عذاب الكافرين (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم ، فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل كفور ، وهم يصطرون فيها) إلى قوله (من نصير) وقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) .

وقال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقد تقدمت هذه المعاني كلها ، فمن قال إنهم يخرجون منها وإن النار تبقى خالية بحملتها خاوية على عروشها وإنها تنفى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى العقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهو الذي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير .

قال فضل بن صالح المغافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم فقال لنا انصرفوا . فلما كان العشية رجعنا إليه فقال إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مسألة ، فقال : يا أبا عبد الله

ما تقول في أكل الجرجير فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم فقلت إنه لا بأس به ، فقال استودعتك الله وأقرأ عليك السلام . ذكره الخطيب أبو بكر أحمد .

وذكر أبو بكر عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد . يعنى من الموحدين ، هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو ، ليس فيه ذكر النبي ﷺ ومثله لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع والله أعلم .

قال القرطبي : قد تقدم أن الموت معنى ، والكلام في ذلك وفي الأعمال ، وإنها لا تنقلب جوهرآ . بل يخلق الله أشخاصاً من ثوب الأعمال . وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت . ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين .

قال الترمذى : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم لأنهم رووا هذه الأشياء ؛ وقالوا تروى هذه الأحاديث ولا يقال كيف . وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف ، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاره وذهبوا إليه .

قال القرطبي : وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم ، لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح قد نثر من أجنحته أربعة آلاف جناح وفي التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) إن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجدر به إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام

يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحجار ودون البغل ، لا تمر بشيء أو يجد .
 ربحها إلا حيي ، ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها
 فألقاها على العجل فتخور وحيي . حكاها الثعلبي والقشيري عن ابن عباس ،
 والماوردي عن مقاتل والكلبي .

* * *

(باب)

فيمن يستحق النار

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفس محمد بيده ،
 لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بما
 أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » كذا في صحاح المصاييح . قال في مجالس
 الأبرار المراد بها أمة الدعوة ؛ فعلى هذا يدخل فيه جميع أهل الملل الباطلة ،
 وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر لأنهما مع كونهما أهلى كتاب وصاحبي
 شريعة إذا كانا من أهل النار بترك الإيمان بما جاء به النبي ﷺ فغيرهما ممن
 لم يكن له كتاب ولا شريعة أولى بذلك ، فكأنه ﷺ قال أقسم بالله الذى
 نفسى بقدرته (٧٤) أن كل من يسمع بنبوتى ولا يؤمن بما جئت به من عند
 الله تعالى حتى يموت يكون من أهل النار ، انتهى .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال ألا إن
 من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة
 ستفترق على ثلاث وسبعين ؛ ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى
 الجماعة ، أخرجه أبو داود فى كتاب السنة له ، وهذا الحديث ، رواه أبو داود .

(٧٤) لفظ الحديث « بيده » وهذا يفسره بالقدرة وهو خلاف ما عليه السلف .

صحيح ، وفي رواية عن أبي داود « وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين أو اثنين وسبعين فرقة » الحديث وأخرجه الترمذى عن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار إلا واحدة . قالوا من هى يارسول الله ؟ قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، أخرجه الترمذى وقال غريب .

وأخرج ابن ماجه مثل ذلك عن عوف بن مالك وأنس .

والحديث دليل على أن اليهود والنصارى وفئة كثيرة من هذه الأمة على اختلاف فرقهم ومللهم فى النار إلا أصحاب الحديث وأتباع الأصحاب .

والحديث استشكل من جهتين ، الأولى : ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون فى النار ، وذلك يناهى الأحاديث الواردة فى الأمة بأنها مرحومة وبأنها أكثر الأمم فى الجنة منها حديث عنه ﷺ أمة مرحومة مغفورة لها متاب عليها ، وغيره مما ملئت به كتب السنة من الأحاديث الدالة على سعة رحمة الله ، ولو سردناها لطال الكلام .

ولما كان حديث الافتراق مشكلا كما ترى أجاب بعضهم بأن المراد بالأمة فى هذا الحديث أمة الدعوة لا أمة الإجابة يعنى الأمة التى دعاها رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإقرار بوحدةانية هى المفترقة إلى تلك الفرق وإن أمة الإجابة هى الفرقة الناجية يريد بها من آمن بما جاء به النبى ﷺ وحينئذ فلا إشكال .

قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى رحمه الله وهذا جواب حسن لولا أنه يعبد بوجوه : الأول أن لفظ أمتى حيث جاء فى كلامه ﷺ لا يراد به أمة الإجابة غالباً كحديث أمتى أمة مرحومة ليس لها عذاب فى

الآخرة وحديث إذا وضع السيف في أمتي وحديث ليكون في أمتي قوم يستحلون الحرير وغير ذلك مما لا يحصى .

فالأمة في كلامه ﷺ حيث أطلقت لا تحمل إلا على ما تعرف منها وعهد بلفظها ولا تحمل على خلافه وإن جاء نادراً .

والثاني : قوله ستفرق بالسيف الدالة على أن ذلك أمر مستقبل .

الثالث : قوله « لبأتين على أمتي » فإنه إخبار بما سيكون ويحدث ولو جعلناه إخباراً بافتراق المشركين في المستقبل لما كان فائدة ، إذ هم على هلاك اجتمعوا أو افترقوا .

الرابع : قرأنهم بطائفتين اليهود والنصارى فإن المفترقين منهما هم طائفة الإجابة لظاهر قوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وقوله تعالى (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم) وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم) .

الخامس : ما أخرجه الترمذي عن أبي وائل الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة خيبر مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ سبحان الله إلى أن قال والذي نفسي بيده لتركبن سنن من قبلكم ، وهذا خطاب لمن خاطبه من أمة الإجابة قطعاً .

فالذي يظهر لي في ذلك أجوبة ، أحدها : أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد ولا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية فلا يتم أكثرية الهلاك ولا يرد الإشكال .

فإن قيل : يمنع عن هذا أنه خلاف الظاهر من ذكر كثرة عدد فرق

الهلاك فإن الظاهر أنهم قدراً ، قلت ليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة المهالكين وإنما هو البيان اتساع طريق الضلال وسعتها ووحدة طريق الحق ، نظير ذلك ما ذكره أئمة التفسير في قوله تعالى (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أنه جمع السبل المنهى عن اتباعها لبيان تشعب طرق الضلال وكثرتها وسعتها وأفرد سبيل الهدى والحق لوحده وعدم تعدده .

ثانيها : أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها ، كأنه قيل هالكة باعتبار أعمالها محكوم عليها بالهلاك وكونها في النار ، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة صالحها والفرقة الناجية إن كانت مفتقرة إلى رحمة الله تعالى لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة لإتيانها بما أمرت به وانتهائها عما نهيت عنه .

ثالثها : أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا ، وقد دل على عقابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا . أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى الأشعري ، فيكون حديث الافتراق مقيداً بهذا الحديث في قوله هالكة ما لم تعاقب في الدنيا لكنها تعاقب في الدنيا فلم يست بهالكة .

رابعها : أن الإشكال في حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة بمعنى أن الافتراق في الأمة وهلاك من يهلك منها دائم . مستمر من زمن تكلمه ﷺ بهذه الجملة إلى قيام الساعة ، وبذلك يتحقق أكثرية المهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال ، والحق أن القضية حينية يعنى أن ثبوت الافتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن من الأزمان ، وبدل على أن المراد ذلك وجوه .

الأول : « ستفرق » الدالة على الاستقبال لتحلية المضارع بالسین .

الثاني : قوله « ليأتين » فإنه إخبار بأمر مستقبل .

الثالث : قوله « ما أنا عليه وأصحابي » فإن أصحابه من مسمى أمته بلا خلاف وقد حكم عليهم بأنهم أمة واحدة وأنهم الناجون ، وأن من كان على ما هم عليه هم الناجون ، فلو جعلنا القضية دائماً حين التكلم للزم أن تكون تلك الفرق كائنة في أصحابه عليه السلام ورضى عنهم وهلم جرا ، وقد صرح الحديث نفسه بخلاف ذلك .

فإذا ظهر لك أن الحكم بالافتراق والهلاك إنما هو في حين من الأحيان وزمن من الأزمان لم يلزم أكثرية المهالكين وأقلية الناجين ، وهذا الجواب بحمد الله تعالى والذي قبله جيد ولا غبار عليه .

فإن قلت يجوز أن يكون زمن الافتراق أطول من زمن خلافه فيكون أهله أكثر فيكون المهالكون أكثر من الناجين ، قلت أحاديث سعة الرحمة وأكثرية الداخلين من هذه الأمة إلى الجنة قد دلت على أن المهالكين أقل وذلك لقصر حينهم المتفرع عليه ، فلا بد من الجمع بين ما يوهم التناقض وقد تم الجمع بهذا الوجه وما قبله فتعين المصير إليهما .

هذا ولا يبعد أن ذلك الحين والزمان هو آخر الدهر الذي وردت الأحاديث بفلساده وفشوا الباطل وخفاء الحق وإن القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأنه الزمان الذي يصبح الرجل فيه مؤمناً ويمسى كافراً ، وأنه زمان غربة الدين ، فتلك الأحاديث الواردة فيه التي شحنت بها كتب السنة قرائن دالة أنه زمان كثرة المهالكين وزمان تفرق وتدابر ، ويحتمل أيضاً أن الافتراق كائن من بعد القرون المشهورة بالخيرية وأن في كل قرن بعدها فرقاً من المهالكين وأكثرها في آخر الزمان ، وهذا جواب مستقل عن الإشكال .

الجهة الثانية من جهتي الإشكال في تعيين الفرقة الناجية .

قد تكلم الناس فيها ، كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أو هن من بيت العنكبوت ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ويعمد إلى ما شئت به من الأقوال ليبين بذلك أنها هالكة لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوصه عنها ، ولو فتش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه لكن عين المرء قليلة عن عيب نفسه وبالجملة :

فكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفى بالتفسير النبوي لتلك الفرقة فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المثونة وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم حتى كأننا رأيناهم رأى العين .

وبعد ذلك فن رزقه الله لإنصافاً من نفسه وجعله من أولى الأبواب لا يخفاه حالة نفسه أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي ﷺ أو غير متبع ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتدعة ، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية متقيد بها تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذبها فإن ما كان عليه النبي ﷺ لقد ظهر لكل إنسان ، فلا يمكن التباس المبتدع بالممتنع .

وعندى على تقدير ذلك الجواب أن زمن الافتراق والهلاك هو آخر الزمان أنه لا بعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث كحديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل ومن هم يارسول الله؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وفي رواية الذين يفرون بدينهم من الفتن ، وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي .

وفى حديث عبد الله بن عمرو قلنا من الغرباء يا رسول الله؟ قال قوم صالحون قليل فى أناس سوء كثير من بعضهم أكثر ممن يطيعهم ، وهم المرادو بحديث « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله » وهم المرادون بما أخرجه الطبرانى وغيره .

عن أبى أمامة عن النبى ﷺ أنه قال : إن لكل شىء إقبالا وإدباراً وإن لهذا الدين إقبالا وإدباراً وإن من إدبار الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وإن من إقبال الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان إن تكلمتا قهرا وقعا واضطهدا وأن من أدبار الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يكون فيها إلا الفقيه والفقهاء وهما مقهوران ذليلان أن تكلمتا فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر قعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً .

فهذه الأحاديث وما فى معناها فى وصف آخر الزمان وأهله قد دلت على أنه زمان كثرة الهالكين وقلة الناجين ، وأحاديث الغرباء قد دلت على أوصافهم بأنهم الفرقة الناجية فى ذلك الزمان وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعرين والمعتزلة بل هم النزاع من القبائل كما فى الحديث ، وهم متبعو الرسول ﷺ اتباعاً قولياً وفعلياً من أى فرقة كانت ، هذا وقد ذكر فى الفرقة الناجية أنهم صالحو كل فرقة ، وذكر أنهم أهل البيت النبوى عليهم السلام ومن اتبعهم إلا أن ذلك مبنى على أن القضية دائمة ثم هو لا يدفع الإشكال .

نعم وهذا كله توفيق بين الأحاديث مبنى على صحة قوله « كلها هالكة إلا فرقة » ولا شك أنه قد ثبت فى كتب السنة كما سمعته ولكنه قد نقل السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزيرى رحمه الله فى بعض رسائله عن أبى محمد ابن حزم الأندلسى رحمه الله ما لفظه قال أبو حزم إن الزيادة يعنى قوله

« كلها هالكة إلا فرقة » موضوعه وإنما الحديث المعروف « إنما تفرق إلى نيف سبعين فرقة » لا زيادة على هذا في نقل الثقات .

فالحديث المشهور كان عند المحدثين معلا ، وما زاده غير صحيح وإن كان الراوى ثقة غير أن مخالفة الثقات فيما شاركوه في الحديث يقوى الظن على أنه وهم فيما زاده أو أدرج في الحديث كلام بعض الرواة وحسبه من كلام رسول الله ﷺ فيعلون الحديث بهذا وإن لم يكن مقدوحاً فيه ، على أصل الحديث الذى حكموا بصحته ليس مما اتفقوا على صحته ، وقد ترك إخراج البخارى ومسلم مع شهرته لعدم اجتماع شرائطها فيه ، انتهى كلامه حرره السيد العلامة الأمير رحمه الله فى سنة ١١٣٣ الهجرية .

وفى الفتح الربانى فى فتاوى الشوكانى بعد ذكر حديث أبى هريرة المتقدم والكلام عليه جرحاً وتعديلاً مانصه : فتقرر بهذا أن رجال حديث أبى هريرة رجال الصحيح فيكون أصل الحديث أعنى افتراق الأمة إلى تلك الفرق صحيحاً ثابتاً .

وأما الزيادة التى فى الحديث الأول^(٧٦) فضعيفة فلا تقوم بها حجة فى حكم شرعى ولو على بعض المكلفين ، فكيف فى مثل هذا الأمر العظيم الذى هو حكم بالهلاك على هذه الأمة المرحومة شرفها واختصها بخصائص لم يشاركها فيها أمة من الأمم السابقة ، وزادها شرفاً وتعظيماً وتجيلاً بأن جعلها شهداء على الناس ، وأى خير فى أمة تفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة وتهلك جميعاً فلا ينجو منها إلا فرقة واحدة .

ولقد أحسن بعض الحفاظ حين يقول . وأما زيادة « كلها هالكة

(٧٦) أى حديث معاوية .

إلا واحدة » فزيادة غير صحيحة القاعدة وأظنها من دسيس الملاحدة وكذلك أنكر ثبوتها الحافظ أبو حزم .

ولقد جاد ظن من ظن أنها من دسيس الملاحدة والزنادقة فإن فيها من التنفير عن الإسلام والتخويف من الدخول فيه مالا يقادر قدره فتحصل لوأضعها ما يطلبه من الطعن على هذه الأمة المرحومة والتنفير عنها كما هو شأنها كثير من المخزولين الواضعين للمطاعن المنافية للشرعية السمحة السهلة كما قال الصادق المصدوق عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال الله عز وجل (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال عليه السلام بشرُوا ولا تنفروا ، يسرُوا ولا تعسروا .

وها أناذا أضرب مثلاً وهو أنك لو رأيت جماعة من الناس قد اجتمعوا في مكان من الأرض عددهم اثنان وسبعون رجلاً وقال لك قاتل ادخل مع هؤلاء فإن واحداً منهم سيملك ما طلعت عليه الشمس وسيضرب أعناق الباقين أجمعين وربما تفوز أنت من بينهم بالسلامة فتعطى تلك المملكة ، فهل ترضى أن تكون واحداً منهم داخلاً بينهم والحال هكذا ولا يدري من هذا الواحد منهم يدعى لنفسه أنه الفائز بالعلامة الظافر بالغبينة بمجرد الأمانة والدعوى العاطلة عن البرهان .

فإن قلت إن قوله في هذا الحديث في الفرقة الناجية هي الجماعة ، وقوله في حديث آخر وهي ما أنا عليه وأصحابي ، قلت هذا التعيين وإن قلل شيئاً من ذلك التخويف والتنفير لكن قد تعاورت هذه الفرقة المعينة الدعاوى وتناوبتها الأمانى ، فكل طائفة من الطوائف تدعى لنفسها أنها الجماعة وأنها الظافرة بما كان عليه النبي عليه السلام وأنهم الذين لا يزالوا على الحق ظاهرين .

فإن قلت إن معرفة الجماعة ومعرفة المتصفين بموافقة ما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه ممكنة ومن ادعى من المبتدعة إثبات ذلك الوصف لنفسه

٢٠١

فدعواهم مردودة عليه مضروب بها في وجهه ، قلت نعم ولكن ليس هاهنا حجة شرعية توجب علينا المصير إلى هذا التعيين وتلجئنا إلى تكلف تعيين الفرق الهالكة وتعدادها فرقة فرقة كما فعله كثير من المتكلمين للكلام على هذا الحديث .

وأما أنه هل يدل هذا الحديث على الافتراق قديماً وحديثاً أم على زمان مخصوص فالجواب عنه أن الافتراق لما كان منسوباً إلى الأمة حيث قال ﷺ تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كما في حديث أبي هريرة وكذلك قوله في حديث معاوية المذكور وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، كان ذلك صادقاً على هذه الأمة بأسرها وعلى هذه الأمة أولها وآخرها من دون تخصيص ببعض منها دون بعض ولا بعصر دون عصر ، فأفاد ذلك أن هذا الافتراق المنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة كائن في جميع هذه الأمة من أولها إلى آخرها ، ومن زعم اختصاص ذلك بأهل عصر من العصور أو بطائفة من الطوائف فقد خالف الظاهر بلا سبب يقتضي ذلك .

وأما أنها قد ثبتت نجاة الصحابة فهل يدل على أنهم لم يختلفوا في الأصول أصلاً ، فالجواب عنه أنه لا ملازمة بين نجاة جميع الصحابة وبين عدم اختلافهم في الأصول بل يجوز الحكم بنجاتهم جميعاً مع الحكم باختلافهم في الأصول .

وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية عندئذ متساوية الأقدام منتسبة إلى الشرع نسبة واحدة وكون بعضها راجعاً إلى العمل لا يستلزم تعاونها على وجه يكون الاختلاف في بعضها موجباً لعدم نجاة بعض المختلفين وفي بعضها لا يوجب ذلك ، فاعرف هذا وافهمه .

واعلم أن ما صح عنه ﷺ من أن المصيب في جهاده له أجران والمخطئ له أجر لا يختص بمسائل العمل ولا يخرج عنه مسائل الاعتقاد فما يقوله كثير

من الناس من الفرق بين المسائل الأصولية والفروعية وتصويب المجتهدين في الفروع دون الأصول ليس على ما ينبغي بل الشريعة واحدة وأحكامها متحدة وإن تفاوتت باعتبار قطعية بعضها وظنية الآخر .

فالحق عند الله عز وجل متعين يستحق موافقة أجرين ، ويقال له مصيب من الصواب دون الإصابة ويقال لمخالفه إنه مخطئ كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن العاص أن اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر وفي بعض الروايات الخارجية عن الصحيح من غير حديثه أنه إن أصاب فله عشرة أجور وهذه زيادة خارجة من مخرج حسن كما هو معروف .

فالنبي ﷺ قد سمي من خالف الحق مخطئاً فن قال إنه مصيب في الظنيات والفروعية إن أراد أنه مصيب من الإصابة فقد أخطأ وخالف النص وإن أراد أنه مصيب من الصواب الذي يصح إطلاقه باعتبار استحقاق الأجر لا باعتبار إصابة الحق فلذلك وجهه ، فاعرف هذا وأفهمه حتى يتبين لك اختلاف الناس في أن كل مجتهد مصيب أم لا .

واعلم أنه لا فرق عند التحقيق بين ماتسميه الناس فروعاً وبين ما يسمونه أصولاً ، هذا إن كان مطلوب السائل ما هو عند المجتهد ، وإن كان مطلوبه ما قاله الناس فكلامهم معروف في مؤلفاتهم . انتهى كلام الشوكاني رحمه الله .

(باب)

في سوء الخاتمة وبيان الخوف والرجاء

قال في مجالس الأبرار . وله أسباب يجب على المؤمن أن يحترز عنها ، منها الفساد في الاعتقاد وإن كان مع كمال الزهد والصلاح ، فإن كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعاً به متيقناً له غير ظان أنه أخطأ فيه قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحققة مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد ، فيكون الكشف بطلان بعض اعتقاداته سبباً لزوال بقية اعتقاداته ، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يختم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير إيمان ، فيكون من الذين قال الله تعالى فيهم (وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وقال في آية أخرى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو أخذاً من هذا حاله فهو واقع في هذا الخطر : ولا يدفعه الزهد والصلاح ، وإنما يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منهما .

ومنها الإصرار على المعاصي ، فإن من له إصرار عليها يحصل في قلبه إلفها ، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره عند موته ، فإن كان ميله إلى الطاعات أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات ، وإن كان ميله إلى المعاصي أكثر يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر المعاصي ، وربما يغلب عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة ومعصية من المعاصي فيتقيد قلبه بها وتصير حجاباً بينه وبين ربه ، وسبباً لشقاوته في آخر حياته لقوله ﷺ : المعاصي بريد الكفر .

والذى لم يرتكب ذنباً أصلاً أو ارتكب وتاب فهو بعيد عن هذا الخطر ،
وأما الذى ارتكب ذنباً كثيراً حتى كانت أكثر من طاعاته ولم يتب عنها ، بل
كان مصرّاً عليها ، فهذا الخطر فى حقه عظيم جداً إذ قد يكون غلبة الإلف بها
سبباً لأن يتمثل فى قلبه صورتها ، ويقع منه ميل إليها وتقبض روحه عليها
فيكون سبباً لسوء خاتمته .

ويعرف ذلك بمثال ، وهو أن الإنسان لاشك أنه يرى فى منامه من
الأحوال التى ألفها طول عمره . حتى إن الذى قضى عمره فى العلم يرى من
الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء والذى قضى عمره فى الخياطة يرى من الأحوال
المتعلقة بالخياطة والخياط ، إذ لا يحضر فى حال النوم إلا ما حصل له مناسبة
مع قلبه لطول الإلف . والموت وإن كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه
من الغشى قريب من النوم ، فطول الإلف بالمعاصى يقتضى تذكرها عند
الموت وعودها فى القلب وتمثلها فيه وميل النفس إليها ، وإن قبض روحه
فى تلك الحالة يحتم له بالسوء .

ومنها العدول على الاستقامة ، فإن من كان مستقيماً فى ابتدائه ثم تغير
عن حاله وخرج مما كان عليه فى ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته ، كإبليس
الذى كان فى ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً فى العبادة ؛
ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين (٧٧) ، وكبلعام بن
باعور الذى آتاه الله آياته فانسلخ بخلوده إلى الدنيا واتبع هواه وكان من
الغاوين ، وكبر صبيصاً العابد الذى قال له الشيطان أكفر فلما كفر قال إني
برىء منك إني أخاف الله رب العالمين ، فإن الشيطان أغراه على الكفر فلما كفر
تبرأ منه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى (وكان
عاقبتهم فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) .

ومنها ضعف الإيمان : فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا قلبه ويستولى عليه بحيث لا يبقى موضع فيه لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس ، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات ، فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تغطي ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه ، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبا غالب عليه لا يريد تركها ويتألم من فراقها ، ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى أن يحصله في باطنه بغضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن خرج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة يتحم له بالسوء ويهلك هلاكاً مؤبداً .

والسبب المفضي إلى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون إليها والفرج بها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ، وهو الداء العضال الذي قد عم أكثر الخلق فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع ، فإن خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ووجهه مصروفاً إليها ، ويحصل بينه وبين ربه حجاب .

حكى أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال : هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ قال إنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكروهون الخروج من العمران إلى الخراب ، قال صدقت ، ثم قال ليت شعري مالنا عند الله تعالى ؟ قال أعرض عملك على كتاب الله ، قال فأين أجده ؟ قال في قوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) .

قال فأين رحمة الله ؟ قال (رحمة الله قريب من المحسنين) .

قال ياليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً ؟ قال أما المحسن فكالغائب الذي يقدم على أهله ، وأما المسمى فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاؤه ثم قال : أوصني ، قال إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك . انتهى .

قال الغزالي في الإحياء : إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله أحبه لهم ، والحب يغلب بالرجاء ، قال وإن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين .

ثم ذكر دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه جبال الرجاء ويغلب . ثم ذكر الآيات والأخبار والآثار الدالة على ذلك ، ثم اتبعه بيان حقيقة الخوف وبيان دواء الخوف ، وبيان معنى سوء الخاتمة ، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء والصالحين ، وبيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف ، وبيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما ، وبيان الدواد الذي يستجيب به حال الخوف والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة ، والرجاء والخوف يقويان على الصبر ، فإن الجنة قد خفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ، والنار قد خفت بالشهوات فلا يصبر على قبحها إلا بقوة الخوف . ولذلك قال علي عليه السلام : من أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات .

قال النووي في رياض الصالحين : إن المختار للعبد في حال الصحة أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمحض الرجاء ، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك ، قال تعالى (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقال تعالى

(إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وقال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقال تعالى (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين متترتين أو آيات أو آية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجمته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من رحمه ما قنط من جنته أحد » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنسار مثل ذلك . رواه البخاري . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يلج النار رجل يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ؛ رواه الترمذي وحسنه وصححه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . متفق عليه .

وعن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى » رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي الباب أحاديث كثيرة . هـ .

قلت وفي الإحياء : وسوء الخاتمة على رتبتين (إحدهما) أعظم من الأخرى فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور

أهواله إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على تلك الحالة فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً ، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد .

(والثانية) وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره ، فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه ، وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة يمحوا عن القلب هذه الحالة التى عرضت له عند الموت ، فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجته من النار في زمان أقرب ، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وإما نظراً بالرأى والمعقول فهو في هذا الخطر ، والزهد والصلاح لا يكتفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق على وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة والبله بمعزل عن هذا الخطر .

ولكن الآن قد استرخى العنان ، وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على وفق طبعه بظن أو حساب ، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان ، وأنه صفوة الإيمان ، ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين : علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نبأه بعد حين وينبغى لمن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء .

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تحفِ سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان :

٢٠٩

أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان ، والآخر ضعف الإيمان وإن .
 قلت المعاصي ، وليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال
 المعرفة وإلا فليس أمتنا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت
 علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلا قرب الرحيل
 ينهنا ، ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين نخوفنا ،
 ولا خطر الخاتمة يزعجنا ، فسأل الله تعالى أن يتدارك بفضلته وجوده أحوالنا
 فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

فلما قسى قلبى وضائق مذاهبى جعلت رجائى نحو عفوك سلماً
 يعاظمنى ذنبى فلمما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
 فازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجرد وتعفو منه وتكرما

وبالحيلة فالحاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ، وقد قال صلبة بن أشيم على
 قبر أخ له .

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجياً

ويوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم
 لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم ولا يأكلون فيه ولا يشربون ولا يجدون
 فيه روح نسيم حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً ، واحترقت أجوافهم جوعاً ،
 انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها ، فتأمل
 فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن
 المعاصى فى عمرك المختصر .

ثم تفكر بعد هذه الأهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير
 ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقيير والقطمير والجليل والحقير ، ويؤتى
 بالميزان ويطار الكتب إلى الشمائل والأيمان ، وتكثر الخصماء ويساقون إلى

الصراط ويغضب الرب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وقد أخبرت بأن النار مورد للجميع فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هو ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه .

فهذه أهوال يوم القيامة وأصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنا وحسراتها لا نهاية له ، وقد تصدى لذكرها القرطبي في التذكرة وأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذا لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدره منغصة .

فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به لم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها قال أحمد بن حرب أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح ، غداً بين أطباق النار يصيح ، فانظر في هذه الأحوال .

واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه ، وقال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ولكن ما قضى الأمر يوم . بل في أزل الآزال ، ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشغل بمحقرات الدنيا ولشك تدري أن القضاء بما ذا سبق في حقل .

فإن قلت فليت شرى ماذا موردى ، وإلى ماذا مالى ومرجى ؛ وما الذى سبق به القضاء في حق ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك .

فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسرك سبيل الخير فابشر فإنك
مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه
ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا
على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى :
(إن الأبرار لني نعيم ، وإن الفجار لني جحيم) فأعرض نفسك على الآيتين
وقد عرفت مستقرك من الدارين .

* * *

(باب)

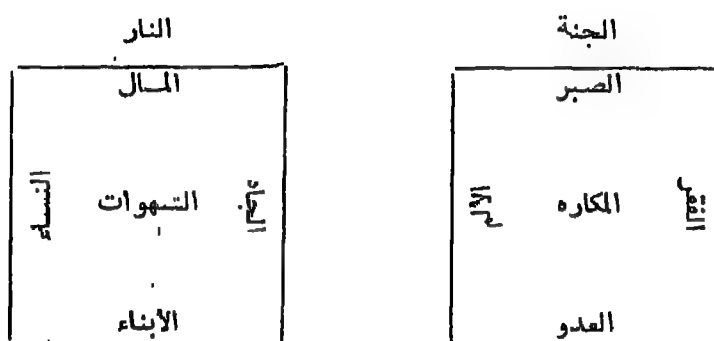
حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل النار وأهل الجنة

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، أخرجه مسلم وأخرجه أيضاً البخارى ، قال وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب ، ويعنى بالمكاره : المشقة مثل التكاليف الشرعية أمراً ونهياً ، بالشهوات مرارات النفس ومستلذاتها وأهويتها ، وتقدم فى أول الكتاب حديث إرسال الله جبريل عليه السلام إلى الجنة والنار وهو عند الترمذى وأصحاب السنن عن أبى هريرة وقال فيه أبو عيسى حديث حسن صحيح .

قال القرطبي : المكاراة كل ما يشق على النفس فعله ، ويصعب عليها عمله كالطهارة فى الصلوات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المضائبات والمصيبات ، وجميع المكروهات ، والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الجناف الدائر بالشئ المحيط به الذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى ، فثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك والجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها ، والنار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها .

ولقد روى عن النبي ﷺ أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال : طريق الجنة حزن ربوة ، وطريق النار سهل بسهوة . ذكره صاحب الشهاب ، والحزن وهو الطريق الوعر المسلك ، والربوة هو المكان المرتفع وأراد به ما يكون من الروابي ، والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذى لا غلظ فيه ولا وعورة .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين له في الحديث :
أى جعلت على حافتها وهى جواها ، وتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعلها
في جوانبها من الخارج . ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هى من داخل
وهذه صورته .



وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله الجنة حفت بالمكاره وحفت النار
بالشهوات فمن اطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه وكل من تصورها من خارج
فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال ، وفي الصحيحين « حجبت »
بدل حفت في الموضعين .

قال القرطبي فإن قيل : قد قال حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد
الأعمى عن التقوى الذى قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى
النار التى هى فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة وريث الغفلة على قلبه كالطائر
يرى الحبة فى داخل الفخ وهى محجوبة عنه لأنه لا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة
على قلبه ، وتعلق باله بها ، وجهله بما جعلت فيه وحجبت . انتهى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ما رأيت مثل
النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها ، أخرجه الترمذى وقال
هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله ، وهو ضعيف عند أهل
الحديث ، تكلم فيه شعبة .

وقد سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله : ما عمل أهل النار وما عمل أهل الجنة ؟ فأجاب : عمل أهل النار الإشراف بالله تعالى أو التكذيب للرسول والكفر والحسد والكذب والخيانة والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل واختلاف السر والعلانية واليأس من روح الله والأمن من مكر الله والجزع عند المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه وخوف المخلوق دون الخالق ، والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة ، أى اعتقاداً وعملاً ، وطاعة المخلوق في معصية الخالق والتعصب للباطل واستهزاء بآيات الله وجحد الحق والكتمان لما يجب لإظهاره من علم وشهادة ، والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وأما عمل أهل الجنة فالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والشهادتان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ، ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمة والشكر لنعمته وقراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه ومسألته والرغبة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله مع الكفار والمنافقين .

ومن أعمالهم أن يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عن ظلمه ، فإن الله أعد الجنة للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، ومن أعمالهم العدل في جميع الأمور

٢١٥

وعلى جميع الخلق حتى الكفار وأمثال هذه الأعمال والتجاني عن دار الغرور ،
والإنابة إلى دار الخلود ، فعمل أهل الجنة الإيمان والطاعة وعمل أهل النار
الكفر والفسوق والعصيان .

وتفصيل الجملتين لا يمكن لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله
ورسوله وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله فمن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ،
ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ، انتهى كلام
شيخ الإسلام . وهو كالشرح لحديث الباب « حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالمنهات » وكتاب شعب الإيمان للبيهقي يشتمل على أشياء هي من أعمال
أهل الجنة ، وهو ست مجلدات في سبعة وسبعين باباً اختصره أبو حفص عمر
ابن علي القزويني الإمام بجامع الخليفة ببغداد في نحو كراستين .

وأصل الكتاب حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه
قال الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها أو فأرفعها
أو فأفضلها على اختلاف الروايات قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى
عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان فالإيمان وشعبه هذه كلها من أعمال أهل
الجنة وهذا بيانها بحدف الأدلة على سبيل التعدد .

فالأول منها الإيمان بالله عز وجل ، ثم الإيمان برسل الله ، ثم بالملائكة ثم
بالقرآن ثم بالقدر خيره وشره وأنه من الله عز وجل ، ثم باليوم الآخر ثم بالبعث
بعد الموت ثم بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف ، ثم بأن دار
المؤمنين ومآبهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار ، ثم بوجوب محبة الله تعالى
ثم بوجوب الخوف منه عز وجل ، ثم بوجوب الرجاء منه سبحانه وتعالى .

ثم بوجوب التوكل عليه تبارك وتعالى ، ثم بوجوب حب النبي ﷺ
ثم بوجوب تعظيمه ﷺ وتبجيله وتوقيره ، ثم شح المرء بدينه حتى يكون

القلذف في النار أحب إليه من الكفر، ثم طلب العلم وهو معرفة البارئ تعالى وصفاته وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما تميز به النبي عن المتنبئ وعلم أحكام الله تعالى وأقضيته ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة، والقرآن والحديث مشحونان بفضائل العلم والعلماء وفيه كتاب مفتاح دار السعادة للمحافظ ابن القيم رحمه الله وهو كتاب لا يوجد نظيره في الإسلام ثم نشر العلم ثم تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه، وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه، وتكريم أهله وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده ثم الطهارة ثم الصلوات الخمس ثم الزكاة ثم الاعتكاف ثم الحج ثم الجهاد.

وفي ذلك كتاب « العبرة مما جاء في العزو والشهادة والهجرة » لهذا العبد عفا الله عنه وهو نفيس جداً في هذا الباب مغن عن كثير من الكتب ثم المراقبة في سبيل الله تعالى، ثم الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف، ثم أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله على الغنائم وكل ذلك مذكور في كتابي المسطور، ثم العتق وفك الرقبة ثم الكفارات الواجبات بالجنايات وهي في الكتاب والسنة أربع :

كفارة القتل وكفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس في صوم رمضان، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها إما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب إلى الله تعالى بشيء يعني أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب ثم ثم الإيفاء بالعقود ثم تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها، ثم حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والفحش ثم أداء الأمانات إلى أهلها ثم تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ثم تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ثم قبض اليد عن الأموال المحرمة.

ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وكل ما لا يستحقه شرعاً، ثم وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها.

وهى أنواع كثيرة مبسوسة في كتب السنة والكتاب ثم تحريم الملابس والزى والأواني وما يكره منها ، ثم تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة ، ثم الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل ، ثم ترك الغل والحسد ونحوهما من الخصال المذمومة على لسان الشرع ، ثم تحريم أعراض الناس وما يجب من ترك الوقعة فيها ثم إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء والسمعة ثم السرور بالحسنة والاعتماد بالسيئة ، ثم معالجة كل ذنب بالتوبة ثم القرابين وبجملتها الهدى والأضحية والعقيقة ، ثم طاعة أولى الأمر إلا في معصية الخالق ثم التمسك بما عليه جماعة أهل السنة والكتاب ثم الحكم بين الناس بالعدل ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم التعاون على البر والتقوى ، ثم الحياء ثم بر الوالدين ثم صلة الأرحام ثم حسن ، الخلق وبدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع ثم الإحسان إلى المماليك ثم حق السادة على المماليك وهو لزوم العبد وسببه وإقامته حيث يراه له ويأمر به وطاعته فيما يطبقه .

ثم حقوق الأولاد والأهلين وهى قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه ، ثم مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك ، ثم رد السلام ثم عيادة المريض ثم صلاة الجنائز ثم تسميت العاطس ، ثم مبعادة الكفار والمفسدين والغلبة عليهم .

ثم إكرام الجار ثم إكرام الضيف ثم السر على أصحاب القروى أى الذنوب ، ثم الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

ثم الزهد وقصر الأمل ، ثم الغيرة وترك المراء ، ثم الإعراض عن اللغو ، ثم الجود والسخاء ثم رحمة الصغير وتوقير الكبير . ثم إصلاح ذات البين ، ثم أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

ويدخل فيه إمطة الأذى عن الطريق والنصح لكل مسلم . وفي حديث أنس في صحيح البخارى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فهذه سبع وسبعون شعبة من شعب الإيمان دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ذكرها البيهقي في شعب الإيمان ، وزاد القزويني عليها في بعض الشعب آية أو آيات أو حدثنا أو كلمات أو حكاية أو حكايات أو بيتاً أو أبياتاً لم يذكرها البيهقي .

ولذا أحطت بما ذكرنا علماً عرفت أن ذلك كله من المكاره التي حفت بها الجنة وأن خلاف ذلك كله من الشهوات التي حفت بها النار ، وهذا باب واسع جداً لا يتسع لبسطه هذا المقام وفقنا الله سبحانه وتعالى لاحتمال المكاره المنجيات وجنبنا عن الشهوات الموبقات .

هذا وأقول (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

(باب)

من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغطاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة . أخرجه الترمذى وقال هذا حديث صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

وعن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان قال أبو سعيد فمن شك فليقرأ : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) أخرجه الترمذى وحسنه وصححه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماهم الله إمائة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة فجاء بهم ضبائر (٧٨) فبثوا (٧٩) على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة في حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية .

قال القرطبي هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلداً فيها كلما نضجت أجلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ،

وقيل يجوز أن تكون إمامتهم عبارة من تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتاً حقيقة فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ.

وقد سماه الله وفاة فقال : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة التي هي خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى (فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خر صعقاً ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً ، وكذلك يجوز أن يكون إمامتهم غيبتهم عن الآلام وهم أحياء بلطفية يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغبن به عن آلامهن .

والتأويل أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ولقوله في نفس الحديث حتى إذا كانوا فحماً ، فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات .

فإن قيل ما معنى إدخالهم النار وهم غير عالمين بأقيل أن يجوز أن يدخلهم تاديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالحبوسين في السجون فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال يخرج أو أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ، أخرجته الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه عن النبي ﷺ قال : يقول الله أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام ، أخرجته الترمذي وقال حديث حسن غريب .

(باب)

في الشفعاء وذكر الجهنميين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان ، أخرجه ابن المبارك .

وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه بعد قوله في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، منهم من أخذته النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي أحد ممن أمرتنا به ، فيقول جل جلاله ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون :

ربنا لم نذر ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ، وكان أبو سعيد يقول إن لم تصابقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين .

وفي البخاري بدله « وبقيت شفاعة » فيقبض قبضة من النار فيخرج .

منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلهم على نهر على أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحية في حميل السيل ألا ترونها يكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض .

فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفونهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول لكم عندى أفضل من هذا ، فيقولون ربنا وأى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاي لا أسخط عليكم بعده أبداً . أخرجه ابن ماجه . وفي الباب أحاديث وروايات بطرق وألفاظ .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين ، قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثل أهل الجنة ، قال وأكثر ظنى أنه قال مثل أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله .

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة : منها أن الإيمان يزيد وينقص ، ومنها أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان ، ومنه قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم ، وقيل المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه لقوله « الأعمال بالنيات » ويجوز أن يكون المراد به رحمة على مسلم ، رقة على يتيم خوفاً من الله تعالى رجاء له توكلنا عليه ثقة به ، مما هى أفعال القلب دون الجوارح ، وسماها إيماناً لكونها في محل الإيمان ، وهذا الذى قواه القرطبي وأيده في التذكرة .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فنسميهم أهل الجنة الجهنمين ، أخرجه البخارى . وعن

عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال « ليخرجن قوماً من أمتي بشفاعتي يسمون الجهنميين » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، أخرجه البخاري وأبو داود أيضاً .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . زاد الطيالسي قال : قال لي جابر . من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة وذكر أبو داود والدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال . نعم أنا بشر أمتي ، قالوا فكيف أنت بخيارهم ؟ قال أما خيارهم فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي (٨٠) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ خبرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين ، رواه ابن ماجه ، وفي الباب أحاديث بألفاظ وطرق .

وعنده من حديث عوف بن مالك الأشجعي نحوه وفي آخره . قلنا يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها ، قال هي لكل مسلم .

قال القرطبي : شفاعته رسول الله ﷺ والملائكة والنبیین والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ، ومن لم يكن معه من الإيمان خير من الدين يتفضل الله عليهم فيخرجوهم من النار فضلاً وكرماً وعداً منه حقاً ، وكلمته صدقاً (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فسبحان الرؤوف بعبده الوفي بعهده . انتهى .

* * *

(٨٠) أحاديث الشفاعة : أكثرها آحاد . وأحاديث الآحاد لا تثبت بها العقائد (انظر تفسير فخر الدين الرازي في البقرة في الآية « بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته . . . إلخ »)

(باب)

في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي (ﷺ) يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ، أخرجه ابن ماجه وعن ابن مسعود قال : يشفع نبيكم رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم (ﷺ) ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال (لهم ما سلككم في سقر) إلى قوله (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

قال ابن مسعود : فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم . أخرجه ابن السكك أبو عمرو عثمان بن أحمد وقيل إن هذا هو المقام المحمود لنبينا (ﷺ) كما أخرج أبو داود الطيالسي عن عبد الله أى ابن مسعود ولفظه قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ، ثم يقوم إبراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام ، ثم يقوم نبيكم رابعاً فيشفع لا يشفع لأحد من بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قاله الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وعن عبد الله بن أبي الجعدا أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم ، قيل يا رسول الله سواك ؟ قال سواي ، قلت أنت سمعته من رسول الله ؟ قال أنا سمعته . أخرجه ابن ماجه والترمذي . وقال حديث حسن صحيح غريب ، ولا يعرف لابن الجعدا غير هذا الحديث الواحد ، وخبرجه البيهقي في دلائل النبوة .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله (ﷺ) يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربعة ومضر . قال قيل يا رسول الله وما ربعة من مضر ؟

قال إنما أقول ما أقول ، قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان . أخرجه ابن السماك .

وعن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمتي من يشفع للفتام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة . أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة . قال القاضي عياض في الشفاء عن كعب : إن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعاة .

قال القرطبي : إن قال قائل كيف تكون الشفاعاة لمن دخل النار والله تعالى يقول (إنك من تدخل النار فقد أخرجته) وقال (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن يرضاه الله لا ينجزيه أبداً . قال الله تعالى : (يوم لا ينجزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) والآية .

قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة فإن الشفاعاة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة ، ثم أجاب عن الآيات بأنها خاصة جاءت في قوم لا يخرجون من النار .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء : إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضلهم يقبل فيهم شفاعاة الأنبياء والصديقين يل شفاعاة العلماء والصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعاة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه ، فكن حريصاً على أن

تكتسب لنفسك عندهم رتبة للشفاعة ، وذلك بأن لا تستصغر معصية أصلاً ، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه .

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة انتهى .

ثم ذكر آيات وأخبار ، منها حديث اختلاف الناس إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ثم إلى محمد ﷺ ، قال فهذه شفاعة رسول الله ﷺ ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً .

قلت ولكن هذه الشفاعة تكون بإذن من الله سبحانه ، كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ورسول الله ﷺ أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ، اللهم ارزقنا شفاعة يوم القيامة قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقال تعالى (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له) .

وقال في المواهب اللدنية : وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار فهو غرور الشيطان لهم ولعبة بهم ، فإنه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحذر لرسول الله ﷺ حذراً يشفع فيهم ، ورسول الله أعرف به وبحقه من أن يقول لأرضى أن يدخل أحداً من أمي النار ويدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له في الشفاعة فيمن شاء الله أن يشفع فيه ، ولا يشفع في غير من أذن له ويرضيه .

وقال الخازن تحت الآية الأولى : هذا استفهام إنكار ، والمعنى لا يشفع عنه أحد إلا بأمره وإرادته ، وذلك إن المشركين زعموا أن الأصنام يشفعون لهم ، فأخبر أنه لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله (إلا بإذنه) يريد

بذلك شفاعته النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض اهـ .

وفي الكبير : لا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى ، فيكون الشفيع في الحقيقة الذي يأذن الله له في تلك الشفاعة .

وقال في الخازن أيضاً : قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يشفع أحد إلا بإذنه . وفي الحديث : « فاستأذن على ربى فيأذن لى » وقال الشيخ زين الدين بن على المقرئ فى مرشد الطلاب .

اعلم أنه ﷺ لا يشفع لجميع عباد الله ، بلى يشفع لمن أذن الله فى شفاعته ، اهـ .

وفى تفسير الحدادى : لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بأمره ورضاه ، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض بالدعاء كما يشفع الأنبياء للمؤمنين . اهـ .

وفى الباب أخبار وآثار كثيرة ، وأقوال لأهل العلم غزيرة لا يتسع هذا المقام لبسطها .

خاتمة

فيا يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)
وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى (ومن يعمل
سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله ينج الله غفوراً رحيماً) وقال تعالى (وإن
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وقال تعالى (ولسوف يعطيك ربك
فترضى) وقال تعالى (أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة
بإذنه) .

وقال تعالى (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقال تعالى (وربك الغنى ذو الرحمة)
وقال (عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وقال تعالى (هو أرحم
الرحمين) وهذه الآية في مواضع من القرآن الكريم .

وقال تعالى (ولا تئسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم
الكافرون) وقال تعالى (نبيء عبادي أنى أنا الغفور الرحيم) وقال تعالى
(وربك الغفور ذو الرحمة) وقال تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون (ربنا
وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق

السيدات يومئذ فقد رحته وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ويعف عن كثير) وقال تعالى (إن ربك واسع المغفرة) وقال تعالى (ويعفو عن كثير) وهذه غير الأولى .

ومن أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم وهما مشتقتان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ، ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، وقد تقرر أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى .

قال القرطبي وصف نفسه الكريمة بهما لأنه لما كان باتصاف رب العالمين ترهيب قربه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون طاعته وأمنع ، وقيل فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أو العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المفضل لها على خلقه . ذكره الشوكاني (رحمه الله) في تفسيره فتح القدير .

قال البيهقي في الأسماء والصفات قال الحلبي في معنى الرحمن إنه المزيج للعلل وفي معنى الرحيم إنه المثير على العمل ، فلا يضيع لعامل عملاً ولا يهدر لساع سعيًا وينيله بفضل رحته من الثواب أضعاف عمله .

وقال الخطابي ذهب بعضهم إلى أن الرحمن غير مشتق من الرحمة لأنه لو كان مشتقاً منها لا تصل بذكر المرحوم ولا تنكره العرب حين سمعوه وزعم بعضهم أنه اسم عبراني ؛ وذهب الجمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة ينبئ عن المبالغة ومعناه ذو الرحمة لانظير له فيها ولذلك لا يشي ولا يجمع فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح .

وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله وكان بالمؤمنين رحيمًا والرحيم بمعنى راحم وبناء فعيل أيضاً للمبالغة ، وقال ابن عباس الرحمن هو الرفيق والرحيم هو العاطف على خلقه بالرزق وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر وقال عبد الرحمن بن يحيى الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل .

قال ابن عباس في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن) وقال (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وقال في فواتح السور غير التوبة بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال في فاتحة الآيات الرحمن الرحيم وقال (تنزل من الرحمن الرحيم)

وبالجملة فالرحمة صفة عظيمة عامة من صفات الرحمن الرحيم يظهر أثرها على وجه الكمال إن شاء الله تعالى يوم الدين ونعم الصالحين والطارحين من المؤمنين حين يغفر الله سبحانه وتعالى ذنوب المذنبين ويعفو الخطايا والجرائم للخطائين .

ومن نعم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريم بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة ووصف رسوله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فوعدت أمتهم المرحومة بين رحيمين كريمين والرحيم إذا قدر رحم والكريم إذا غلب غفر ، فالرحمة والمغفرة للعصاة من الموحدين المتبعين للسنة والكتاب والمقرين على أنفسهم بالقصور عن بلوغ ذروة كمال الامتثال بإتيان صوالح الأعمال ثابتان بأدلة القرآن ونصوص السنة لاسيما أنه سبحانه يتوب على التائبين ويغفر للمستغفرين ، ويفرح بتوبة عباده المؤمنين ويجزي المحسنين ، ويحب المتطهرين التوابين وقد سبقت رحمته على غضبه ورضاه على سخطه وعفوه على انتقامه وهو أحق بذلك وأولى وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة صحيحة لا يتسع المقام لبسطها لما أنه يستدعى مؤلفاً مستقلاً ولكن

ملا يدرك كله لا يترك كله فلنذكر من ذلك شيئاً ندرأ رجاء العفو والغفران من الرحيم الرحمن فإنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي ، أخرجه الشيخان والترمذي وعند البخاري رحمه الله في رواية أخرى أن رحمتي غلبت غضبي ، وعند الشيخين في أخرى ، سبقت غضبي وعنه قال : قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعون وأنزل الله في الأرض جزءاً واحداً . فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذي .

وعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى مائة رحمة ففها رحمة يترحم بها الخلق بينهم وتسع وتسعون ليوم القيامة ، أخرجه مسلم وله في أخرى أن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكلها الله تعالى بهذه الرحمة .

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري وفي بعض طرق أبي هريرة فإذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين فأكلها مائة رحمة فترحم بها عباده يوم القيامة .

وفي رواية أخرى فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فكلن مائة رحمة حتى إن إبليس ليتناول إليها رجاء أن ينال منها شيئاً .

وقال ابن مسعود ولن تزال الرحمة بالناس حتى إن إبليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله وشفاعة الشافعين . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله ﷺ سبي فلذا امرأة من السبي تسعى قد

تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال
ﷺ آترونها هذه المرأة طارحة ولدها في النار! قلنا لا والله وهي تقدر على أن
لا تطرحه ، قال فאלله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها ، أخرجه الشيخان .

وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ لا يرحم الله من لا يرحم
الناس متفق عليه عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق
ﷺ يقول : لا تنزع الرحمة إلا من شقي . رواه أحمد والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الراحون يرحمهم
الرحمن ، ارحوا من في الأرض يرحمكم من في السماء رواه أبو داود والترمذي .

قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى
وأدخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، وقال ﷺ ينادى مناد من تحت
العرش يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها
فيا بينكم وأدخلوا الجنة برحمتي .

ويروى أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ (وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها) فقال الأعرابي أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ؟ فقال ابن
عباس خذوها من غير فقيه ، وقال الصنابحي دخلت على عباد بن الصامت
وهو في الموت فبكيت فقال مهلاً لم تبك فوالله ما من حديث سمعته من رسول
الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم
وقد أحيط بنفسى :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله حرم الله عليه النار أو حرمه الله على النار . أخرجه مسلم ،
والأخبار بهذا المعنى كثيرة خرجها البخاري ومسلم وغيرهما من الأئمة .

وقال الأصمعي : كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابي جالس

٢٣٣

يسمع ، فقال يا هذا من يلي هذا من العباد ، قال الله تعالى ، فقال الأعرابي إن الكريم إذا قد غفر . وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات بشرك به دخل النار رواه مسلم .

وعن عتب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله . أخرجه الشيخان ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم . رواه مسلم .

وعن أبي أيوب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لولا أنكم تذبون لخلق الله خلقاً يذنبون يغفر لهم . أخرجه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه . رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : ينجى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم . ورواه مسلم .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه ، فيقول أتعرف ذنب كذا . أتعرف ذنب كذا ، فيقول رب أعرف ، قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته . أخرجه الشيخان .

وعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني » ، والله أفرح بتوبة عبده - من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهول » متفق عليه .

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل . رواه مسلم .

وعن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي لأنتك بقرابها مغفرة . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) قال فقال الله تعالى : أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله آخر ، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له . أخرجه ابن ماجه وخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وقال هذا حديث حسن غريب وروى عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها .

وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبي أمانة بالشام ، فدخلت يوماً على فتي مريض من جيران أبي أمانة رضي الله عنه وعنده عم له وهو يقول : يا عدو الله ألم آمرك ألم أنك ، فقال الفتى يا عمه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي ؟ قال تدخلك الجنة ، قال الله أرحم بي من والدتي ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما آن سواه صاح وفزع فقلت له مالك ، فقال فسح له في قبره وملئ نوراً .

وقال هلال بن سعيد : يؤمر بإخراج رجلين من النار ، فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيكما ؟ فيقولان شر مقيبل ، فيقول الله تعالى : ذلك بما قدمت أبديكما وما أنا بظلام للعبيد . ويؤمر بصرفهما إلى النار ، فيعدو أحدهما في سلسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما ، فيقول الذى عدا قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأعرض لسخطك ثانياً : ويقول الذى تلكأ حسن ظنى بك أنت لا تردنى إليها بعد ما أخرجتني منها ، فيأمر بهما إلى الجنة .

قال القرطبي : هذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه .

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما ، فقال الرب تبارك وتعالى أخرجوهما فلما أخرجها قال لهما لأى شئ اشتد صياحكما ؟ قالوا فعلنا ذلك لرحمتنا ، قال إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا نفسكما حيث كنتما من النار ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول الله تبارك وتعالى : مامنعك أن تلتى نفسك كما ألتى صاحبك ؟ فيقول رب إني أرجو أن لا تعيدنى بعدما أخرجتني منها ، فيقول الله تبارك وتعالى : لك رجاءك ، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله تعالى .

قال أبو عيسى إسناده هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الأفرقي والأفرقي ضعيف عند أهل الحديث .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن إسحاق بن سويد قال : صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة فلم أسمعك يكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق ، قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبء يوم القيامة ويوقف بين يدى الله تعالى فيقول : انظروا فى حسناته فلا يوجد له حسنة ، فيقول انظروا فى سيئاته فيوجد له

سيئات كثيرة فيذهب به إلى النار وهو يلتفت ، فيقول —أى الرب تعالى—
ردوه إلى لم تلتفت ؟ فيقول أى رب لم يكن هذا ظنى أو رجأى فيك ، شك
لإبراهيم ، فيقول صدقت فيؤمر به إلى الجنة .

قال القرطبي : هذا الحديث رفعه ابن المبارك فقال : أخبرنا رشتين
ابن سعد قال حدثني أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة
ابن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما حدثاه أن رسول الله ﷺ قال
إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق يؤتى برجلين فيؤمر بهما إلى
النار : فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك اسمه وتعالى جده : ردوه فردوه ،
فيقال له : لم التفت ؟ فيقول كنت أرجو أن تدخل الجنة فيؤمر به إلى الجنة
قال فيقول لقد أعطاني ربي حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي
شيئاً . قال أى فضالة وعبادة ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور
في وجهه .

قال القرطبي : وفي هذا المعنى خبر الرجل الذى يرفع له شجرة بعد
أخرى يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة ، أخرجه مسلم في الصحيح . انتهى .
وقد تقدم فيما سبق .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن
شتم أنبأكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون .
قالوا نعم يارسول الله ، قال إن الله يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟
فيقولون نعم ياربنا ، قال وما حملكم على ذلك ؟ فيقولون رحمتك أى رب
ورضوانك وعفوك ، فيقول فإنى قد أوجبت لكم رحمتى .

وعن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد
على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات ، فقال : أى رب مالى عندك ،

قال : النار ، قال يارب فأين عبادتي واجتهادى ، فقل له إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتي .

وقال مقاتل : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الفقيه من لم يؤيس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ذكر ذلك كله القرطبي في التذكرة له وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر .

ثم يقول : أتكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ، فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول أحضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء رواه الترمذي وابن ماجه .

كذا في مشكاة المصابيح ، والسجل الكتاب الكبير ، والبطاقة على وزن الكتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب يكتب فيها وزن مايجعل هي فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده وإن كان متاعاً فثمنه ، قيل سميت به لأنها تشد بطاقة هذب الثوب . كذا في القاموس . قال الطيبي فيكون حينئذ الباء زائدة . اهـ .

قال في اللغات : وكأنه أبقيت الباء الجارة التي هي صلة الفعل ، وهي لغة أهل مصر وليس مادته بطلق انتهى ، وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة .

وما أحسن ما قال السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الباني أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه .

٢٣٨-

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي لهبي بذكر ما جاء في البطاقة

ولشيخنا وبركتنا القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله كتاب سماه
«الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة» وهو كتاب نافع جداً
ينبغي لأهل العلم والدين الاشتغال به ليسعدوا بكل سعادة ويتجافوا عن كل
موجب للشقاوة .

هذا ونحن نستغفر الله تعالى من كل ذنب زلت به القدم أو طغى به القلم
في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ،
ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ومن
كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصية ومن كل تصريح وتعريض
بتقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ، ومن كل خطرة دعنا إلى
تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو علم أفدناه أو استفدناه .

ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا أن نكرم بالمغفرة والرحمة
والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً أو باطناً أولاً وآخرأ فإن الكرم عميم والرحمة
واسعة والجلود على أصناف الخلائق فائض ، ونحن من خلق الله عز الله
ولا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه .

وقد قال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته يوم
القيامة فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ومن زادت سيئاته على حسناته يوم
القيامة فذلك الذي لا يدخل الجنة ، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق
نفسه وأثقل ظهره بعدما يأذن الله سبحانه وتعالى له في حق من شاء .

ونرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويفضل علينا بما هو أهله
بمنه وسعة جوده ورحمته إنه قريب مجيب الدعوات .

٢٣٩

وقد قال تعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) . وقال تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا) الآية والآيات في الباب كثيرة معلومة .

عن وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال : قال الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء . أخرجه الدارمي .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ قاربوا وسددوا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجيه عمله ، قالوا يا رسول الله ولا أنت ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل . رواه الدرايمى ، وعنده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . الحديث رواه الدارمي . وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار . رواه مسلم .

وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة . أخرجه مسلم .

اللهم إنك تعلم أنى أعلم أنه لا إله إلا الله وأنى أشهد أن محمداً رسولك وأن الجنة حق وأن النار حق ، وقد قال رسولك في حديث عبادة بن الصامت من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من العمل .

. هذا الحديث متفق عليه ، وإنى أستغفرك وأتوب إليك وأرجو رحمتك .
التي سبقت على غضبك ، فتب على ياتواب واغفر لى ياغافر الذنب ، وأجرنى
من النار واختم لى بالحسنى وزيادة وارحمى رحمة فى عبادك الصالحين ، فإنك
كما قلت فى مواضع من كتابك أرحم الراحمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين ۞

» (تم والحمد لله) *

فهرس

الصفحة

٣	تقديم
١٩	مقدمة
٢٣	بيان أن الشرائع متفقة على إثبات الدار الآخرة التي فيها النار والجنة
٣٥	باب في وجود النار الآن
٣٨	باب في أن النار لا تفتنى ولا يفنى من فيها
٤٣	باب ذكر مكان النار وأين هي على مقتضى الآثار وكذا مكان الجنة
٤٧	باب في آيات من الكتاب العزيز وردت في جهنم
٦٤	باب في آيات كريمة وردت في صفة النار وأهلها
٩٩	باب ما جاء في أن النار لما خلقت فزعت منها الملائكة حتى طارت أفئدتها
١٠٢	باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها
١٠٣	باب ما جاء فيمن استجار من النار وسأل الله الجنة
١٠٥	باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها
١٠٦	باب في صفة النار وفي شرار الناس منهم
١٠٨	باب في صفة أهل النار
١١٠	باب في أول من يكسى من حلل النار
١١٠	باب في ما جاء في أكثر أهل النار
١١٤	باب ما جاء في أول ثلاثة يدخلون النار
١١٤	باب بعث النار وأول من يدعى يوم القيامة

- ١١٨ باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم
- ١١٩ باب ما جاء في أول جهنم وأنها أدراك ولمن هي
- ١٢١ باب ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة
- ١٢١ باب ما جاء في أن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم
- ١٢٣ باب في بعد أبواب جهنم بعضها من بعض وما أعده الله فيها من العذاب
- ١٢٥ باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبي ﷺ وردها عن أهل الموقف
- ١٢٧ باب في كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من عنده جواز
- ١٢٧ باب ما جاء أن خزنة جهنم تسعة عشر
- ١٢٨ باب ما جاء في سعة جهنم وسرادقها
- ١٢٩ باب ما جاء أن الشمس والقمر يقذفان النار
- ١٣٠ باب ما جاء أن في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها
- ١٣٣ باب ما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها
- ١٣٦ باب ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذنان ولسان
- ١٣٨ باب ما جاء في أن مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم
- ١٤٠ باب ما جاء في أن كيفية دخول أهل النار وتلقى النار أهلها
- ١٤١ باب في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة
- ١٤٢ باب في نفس أهل النار
- ١٤٢ باب ما جاء في أن في جهنم جبالا وخنادق وأودية
- ١٤٨ باب بيان قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

الصفحة

- ١٥٠ باب ما جاء في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة)
- ١٥١ باب ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره .
وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال الأعضاء
- ١٥٤ باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذابة أهل النار بذلك
- ١٥٦ باب في عذاب من عذب الناس في الدنيا
- ١٥٧ باب في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأت به ونهى عن المنكر
وأثاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله وفي أن أعوان الظلمة .
كلاب النار

فصل

- ١٦٢ باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم
- ١٦٣ باب ما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجاباتهم
- ١٦٨ باب في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها
- ١٧٠ باب لكل مسلم فداء من النار من الكفار

فصل

- ١٧٣ باب في قوله تعالى (وتقول هل من مزيد)
- ١٧٦ باب في ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي .
تعيينه وتعيين قبيلته واسمه
- ١٧٨ باب ما جاء في خروج الموحدين من النار وذكر الرجل الذي ينادى .
يا حنان يا منان وفي أحوال أهل النار
- ١٨٣ باب تفاوت أهل النار في العذاب
- ١٨٤ باب في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا .
من الكفار يضحكون) إلخ .

- ١٨٥ باب ما جاء في استنشاق رائحة الجنة والصرف منها إلى النار
- ١٨٦ باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار
- ١٨٦ باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن
يلدحه
- ١٩١ باب فيمن يستحق النار ، وكلام نفيس في حديث افتراق الأمة
- ٢٠٣ باب في سوء الخاتمة وأسبابه وبيان الخوف والرجاء
- ٢١٢ باب حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وذكر عمل أهل
النار وأهل الجنة
- ٢١٩ باب من دخل النار من الموحدين ومات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة
- ٢٢١ باب في الشفعاء وذكر الجهنميين
- ٢٢٤ باب في الشافعين لمن دخل النار ... وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك
- ٢٣٨ باب خاتمة فيما يرجى من رحمة الله ومغفرته وعفوه يوم القيامة

* * *

رقم الابداع بدار الكتب ١٦٤٨ لسنة ١٩٨١

دار الجليل للطباعة
القصر الأولي - الضجالة
تشرين ، ١٩٨٦

جمهورية مصر العربية

